ملف

# أزمة إيران تكشف هشاشة "لحظة الخليج"

حوار تاريخي مع نجيب محفوظ لم ينشر من قبل 08

معايير غامضة لاختيار وزراء "السمع و الطاعة" 05

## "طلاق فوضوي" بين السعودية والإمارات بعد انسحابها من أوبك

انسحبت دولة الإمارات من منظمة أوبك، بينما أنهت السعودية انخراطها فى أبرز مشاريعها الاستثمارية فى مجال الرياضة الخارجية، ويجد الحليفان للولايات المتحدة نفسيهما فى خضم "طلاق" فوضوي، فى وقت يواجه فيه الطرفان هجمات من إيران.

بعد عام واحد فقط من الجولة الكبرى التى قام بها الرئيس دونالد ترامب فى الخليج، تلقّت رؤية المنطقة لمستقبل مستقر جيوسياسيًا بعد النفط، قائم على السياحة والذكاء الاصطناعى ورأس المال الأمريكي، ضربة قوية، كما أصبحت تعهدات الاستثمار التى بلغت تريليونات الدولارات، والتى حصل عليها ترامب خلال زيارته، فى حالة من الغموض، وكذلك ما سمّاه "العصر الذهبى الأمريكي" الذى كان يُفترض تمويله جزئيًا بأموال الخليج.

قد تُعد زيارة ترامب ذروة الفكرة القائلة بأن مستقبل الذكاء الاصطناعى والاستثمار العالمى والجغرافيا السياسية سيمر عبر الخليج، لكن، وكما قال جو دومينغيز، الرئيس التنفيذى لشركة كونستيليشن، لا أحد يتسابق اليوم لبناء مراكز بيانات بقيمة ٢٠ مليار دولار فى السعودية أو الإمارات، بعدما أثبتت إيران قدرتها على استهدافها بطائرات مسيّرة منخفضة التكلفة.

وقد أمضى قادة الخليج عقودًا فى تطوير "نموذج دبي"، القائم على تسويق الاستقرار كسلعة فاخرة للمستثمرين والسياح والمقيمين، إلا أن الهجمات الإيرانية على الفنادق الفاخرة والمطارات قوّضت هذا الأساس.

ويُعد انسحاب صندوق الثروة السيادى السعودى من مشروع "ليف غولف"، بعد إنفاق أكثر من ٥ مليارات دولار منذ ٢٠٢٢، أول ضحية كبرى لسياسة تقليص الإنفاق مع تراجع عائدات النفط، كما تواجه مرحلة "الشيكات المفتوحة" لتمويل مشاريع الهيبة، مثل نزالات الملاكمة والمهرجانات الكوميدية ومشروع "نيوم"، ضغوطًا شديدة قبل استضافة كأس العالم ٢٠٣٤.



أما الإمارات، التى تعهدت باستثمارات بقيمة ١,٤ تريليون دولار فى الولايات المتحدة العام الماضي، فتغادر أوبك الآن لتنتج النفط وفق شروطها الخاصة، وقد أعلنت ذلك فى اليوم نفسه الذى دعا فيه ولى العهد السعودى محمد بن سلمان إلى قمة خليجية فى جدة، ما فاجأ الرياض وأثار غضبها، بحسب مصادر مطلعة.

ويمثل خروج الإمارات من أوبك أحدث مظاهر التصدع فى التنافس الإقليمى مع السعودية، وهو تنافس تغذّيه خلافات حول اليمن والسودان وفلسطين، إلى جانب توترات شخصية بين القيادتين. وقد عمّقت الحرب مع إيران هذا الانقسام.

وكان رئيس الإمارات محمد بن زايد يأمل فى تجنب الحرب وسعى لإقناع ترامب بذلك، لكنه بعد اندلاعها دعم حسمها حتى النهاية لضمان عدم خروج إيران أقوى.

فى المقابل، تبنّى محمد بن سلمان موقفًا مختلفًا؛ إذ دعم الحرب فى البداية ثم سعى إلى مخرج بعد تزايد تأثيرها على الاقتصاد النفطي.

وتلقت قطر ضربة كبيرة لصادراتها من الغاز، ما أثّر على سياستها القائمة على التوازن بين الولايات المتحدة وإيران، خاصة بعد تعرضها لهجوم مباشر.

وتميل الإمارات الآن أكثر نحو شراكتها مع إسرائيل فى إطار اتفاقيات أبراهام، التى وفّرت لها أنظمة دفاع صاروخى خلال الحرب، وتتجه السعودية فى المقابل نحو تعزيز علاقاتها مع تركيا وباكستان.

ولا يزال ترامب يأمل فى التوصل إلى اتفاق تطبيع تاريخى بين السعودية وإسرائيل، لكن الموقف السعودى أصبح أكثر تحفظا منذ اندلاع الحرب.

وأشارت مصادر أمريكية وإقليمية إلى أن إدارة ترامب تأخرت فى إدراك عمق الخلاف بين الإمارات والسعودية، وفضّلت عدم التدخل، كما أبلغ وزير الخارجية ماركو روبيو الطرفين بأن واشنطن لن تنحاز لأى منهما، بينما بقى جاريد كوشنر خارج المشهد لتجنب توتر علاقاته مع الجانبين.

وتشعر دوائر صنع القرار فى واشنطن بقلق متزايد من أن يخرج الحليفان العربيان الأهم للولايات المتحدة من هذه الحرب أكثر تنافسًا وعدائية.

ولا تزال دول الخليج تمتلك احتياطيات ضخمة من الطاقة ورأس المال، إلى جانب علاقات أمنية قوية مع واشنطن تعززت خلال الحرب. ويرى بعض المحللين أن الأزمة مع إيران تمثل صدمة مؤقتة وليست تهديدًا وجوديًا.

**أكسيوس - ترجمة: هيباتيا موسى**


جريدة أسبوعية - تصدر عن مؤسسة المشهد للصحافة والنشر

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

مجدى شندى

الموقع الإلكترونى

www.elmashhad.online

العدد 351 السنة الرابعة عشرة

الجمعة 1 مايو 2026 م - 14 ذو القعدة 1447 هـ

10 صفحة - الثمن 5 جنيهات

المشهد

لا سقف للحرية



ذاكرة الصحافة



صلاح عيسى: تراجيديا الكاهن والفرعون 6-7

حوار



علي عطا يتحدث عن ترجمة أدب الصين 09

إصدارات



"كتابة المذبحة" بين السياسي والروائي 10


# تساؤلات مشروعة بشأن وفاة ضياء العوضى المريبة!

## لماذا وكيف دفن فى عجالة حرمت أهله وذويه توديعه والتأكد من وفاته الطبيعية ؟!

**ما** الذى فعلتموه ايها السادة فى هذا الملف المتشابك الشائك؟ لا اعرف من "فعل" ذلك بالتحديد حتى أخاطبه.. فالجميع مسؤولون عما حدث، من مصر إلى الإمارات.. من محمود سعد الذى استضافه ويتهم بأنه سبب شهرته وذيوع اسمه واسم نظامه الغذائي.. إلى عمرو أديب الذى ينتقده بشدة هو ومحمد الباز واخرون لا أتذكرهم! الفعل الذى انتقدُ الجميع - سلطات فى الداخل والخارج وإعلاميين ومن لهم علاقة بالأمر ولا أعرفهم - هو ماخلقوه وتسببوا فيه من حالة بلبلة وغموض رهيب وجدال طال حتى استطال، حول وفاة ضياء العوضى . لن أستطيع أن ألصق به صفة الطبيب ، فقد نزعتها عنه نقابته العريقة، بكل ماتضمه من أطباء عظام ومتخصصين، ونزعتها ايضا عنه كلية طب مرموقة، تخرج منها وعمل فى أقسامها طبيبا متخصصا فى التخدير والرعايات المركزة (وليس فى الأنظمة الغذائية ؟!) لماذا أدخلتم الناس فى هذه الدوامة المنهكة، وحالة الشك وانعدام اليقين وضرب أخماس فى أسداس بلا طائل؟! لماذا تركتم كل الأمور حتى تشابكت وتعقدت على هذا النحو، حتى ان سيدة المنزل عندى (دادة أولادى المقدرة والمحترمة) تخلت كليا عن اهتماماتها اليومية والأسرية والحياتية وانشغلت بمتابعة كل تفاصيل الساعات الأخيرة - وحتى عادت إلى الايام الأولي! فى حياة الراحل العوضي! أنا مدين لها بالاهتمام بالموضوع الذى لم يستغرقنى من قبل، فقد لمست منها حيرة شديدة وتساؤلات عميقة لم أخالها تسألها!! (مقدمة)

- حالة من الشك وانعدام اليقين بشأن وفاة رجل! رجل واحد فقط.. وليس ٢٨٠٠ شهيد فى لبنان و١٢٠٠ قتيل و٦٠٠٠ جريح فى ايران جراء العدوان الصهيو أميركي! متوفى واحد فقط مقابل كل هذا القتل، جعلنا ننشغل به، هذا ماكان ينقصنا؟! هذا ما فعلتموه أيها السادة المتسببون بسلطاتكم ونفوذكم وإعلامكم وإهمالكم - أو تضليلكم لا أعرف.. حتى وضعتمونا فى هذه الوضعية البائسة؟ .

كل منكم يغنى على ليلاه، فهذا يتهم الدولة لأنها ضاقت بفيديو الـ"كهن" الذى سمعوه وما فيه من إسقاطات، وكأننا لا نختلف ولا نشتبك مع الدولة والسلطة والحكومة والرئاسة طوال الوقت وعلى مدار اليوم ؟! حتى أنه إذا أذاع العوضى فيديو "ما" حولناه إلى مناضل يذيع بيان الثورة الأول المخيف والرهيب، ويقود الدبابة الأولى إيذانا ببدء عملية الانقلاب، التى ستزلزل اركان النظام، وبعدها تخرج الناس زرافات وجموعا يطالبون بالرحيل على طريقة مبارك ونظامه! ما قيمة انتقاد شخص مثل العوضى رحمه الله - وهو ليس قامة ثقافية او علمية أو رمزا سياسيا مثلا - لرئيس او غفير؟ الانتقاد المهم هو للجماعة المصرية.. يحدث عندما تتآكل الشعبية نهائيا، وتصبح شخصية الحاكم بلا ظهير شعبي، تصبح وضعية الرفض له أشبه بوضعية وحالة ناس تساوت حياتها مع الموت "ومش خسرانين حاجة"؟ فهل نحن اليوم - رغم كل ما نحن فيه - وصلنا إلى هذه الدرجة من عدم الاحتمال ومن الإجماع على رفض النظام الحاكم؟ أجيبوا أنتم!

يقول لك بعضهم قتلته شركات الأدوية؟ فما هى التقارير التى تقول أن هذه الشركات خسرت أموالا مليارية حتى يهددها نظام غذائى لم يضعه متخصص؟ وبفرض أنه متخصص، ماهى شركات الأدوية التى أعلن أنها تأثرت؟ القواعد السرية الأمريكية ظهرت صورها وهى مدمرة رغم فرط السرية المشددة عليها! هل لدى أحد أى معلومات عن انخفاض معدلات بيع الأدوية؟ وما نسبة هذا الخفض وهذا التأثر.. عالم اليوم "مفيهوش اسرار" ؟ الأدوية ارتفعت - وترتفع - اسعارها بجنون.. قبل موت العوضى وبعده، من دون رادع او وازع من ضمير، وقتل العوضى كان ممكنا لو أن هناك تأثرا فى نسب المبيعات، او تحققت خسائر لشركات.. وأغلبها مسجل فى بورصات عالمية، وسهمها المنخفض ينبيء عن كوارثها إذا حدثت. شركات الدواء تريليونية رؤوس الأموال ويمكنها ان تصنع جائحة مثل كورونا، تماما، كما تخطط شركات السلاح لتولى رئيس دولة يشن حربا هائلة لتفرغ مخازنها من الأسلحة، وتبيعها للمتحاربين وتعيد الإنتاج والملء من جديد، بأسلحة اكثر فتكا وأكثر تقدما، إلى جانب الأسلحة الكلاسيكية. هذه الشركات لاتحتاج إلى جندى تقتله لتتخلص من أسلحتها، ولكن إلى قوة جبارة مثل رئيس (٥٢) ولاية مجتمعة تحت راية دولة واحدة تحكم العالم اليوم. إذا كانت الشركات التريليونية تصنع جائحة كارثية مثل "كورونا" فتدفع ثمنا لها المليارات، فهى ليست بحاجة إلى قتل طبيب لم يسمع به احد خارج مصر، إلا قليلا، وعلى من رآه خبرا منشورا فى الجارديان أو الواشنطن بوست أو الصنداى تايمز او النيويوركر او لا ريبوبليكا يدلنا عليه، ويؤكد لنا أنه اصبح طبيبا عالميا مهما جدا ومخيفا ومستهدفًا التخلص منه !

قد أبدو هنا غير محايد بشأن الرجل، من حيث يعتبره بعضكم ولكم كل الاحترام - عالما ونابها ونابغا - وتبدو لكم صورته عندى صورة الرجل المتناقض، ولكن ليس هذا هو المهم، وإنما التساؤلات المشروعة الخطيرة التى اطلقتها هى المهمة.. لن أنافق القاريء أو أجامله او أسير مع التيار العام . لا أستطيع ذلك.. وصوتى لا اظنه مسموعا بحيث يجعل شركات الدواء تهتم بالدفع لي، فأنا لم أهتم به من قبل، وإنما أصدقكم التساؤلات، فهذا رجل رأيته من خلال مرضاه يفتح صدره لكل فكرة غريبة يتبناها وتساعده على تقاضى أربعة الاف جنيه ثمنا للكشف بعيادته، وشهد كثيرون - وظهر من أسلوبه فى الفيديوهات التى يبثها أنه يتعامل مع من يذهب إليه ويطلب مشورته الطبية بفوقية شديدة، وغطرسة، "وناقص يطرد المريض من عيادته"! لأن شيئا ما فيه لا يعجبه، قد يكون الفشل فى التعبير عن تقديره لما يقول مثلا، أو عدم توقيره أو احترامه لما يمليه عليه من تعليمات "مطبوعة"(!!) يلزم بها كل من يترددون عليه. ولا أعرف كيف تكون تعليماته مطبوعة، مايعنى أنها موحدة، لمريض الكلى ومريض القلب ومريض الضغط والسكر! لا يمكن تجاهل تلك السيدة المصرية المقيمة فى أميركا التى شهد زوجها قبل يوم أو أكثر أنها ذهبت إليه فطلب منها الامتناع عن دوائها، فإذا بها تخر بعد ذلك صريعة فى غضون ثلاثة أيام وتنتقل إلى رحاب الله! يومان او ثلاثة فقط من توقف العلاج، وبعد ذلك نسمح لأنفسنا بقول ما نقوله عن نبوغه ونظامه المبتكر الذى لم يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه! من المستحيل تجاهل شكوى امرأة اخرى أمرها "ضياء" بوقف الدواء، فلما شعر أهلها بأنها تدنو من كارثة صحية تحدثوا معه، فطلب منهم ان تعاود تناول دوائها!

الكارثة التى تهمنى هنا هى لماذا تركنا الموضوع يكبر بهذه الطريقة، وحتى تصبح كل الاتهامات مقبولة عند الناس، من نوعية أن السلطات هناك فى دبى وهنا فى القاهرة دبرت لقتله، أو أن شركات الأدوية تخلصت منه، أو أن الإماراتيين حقنوه بالحقن السامة (وهو الذى لا يتناول الدواء، ويقينا سيرفض الحقن والإبر، ولن يشرب الماء وهو الذى يقلل منه وينصح بذلك(!!) وكونه متخصصا فى الغذاء، فحتما سيعرف ماسيتناوله وماسيرسل إليه من مطبخ الفندق، ويعرف المخاطر التى تهدده من الغذاء المسموم أو الدواء المخلوط بالسم أو المنقوع فيه، فيلزم لأمانه الصحى الامتناع عنه!

لماذا تركنا الموضوع يكبر، فلم تسأل السلطات هناك وهنا الأسئلة الواجب سؤالها؛ هل صحيح أنه أقام فى الفندق يومين كاملين لم تدخل إلى غرفته أو تسأل عنه إدارة الفندق؟ هل هذا طبيعى أو معقول؟ ألا يطالبونه بأى أموال تحت الحساب ؟، ألا يرسلون له الـ (هاوس كيبينج) لتنظيف الغرفة أو إعادة ترتيبها؟ وهل صحيح أنه استمر قابعا بغرفته أكثر من أسبوع لا يعرف أحد عنه شيئا.. وهل ذهب إليه صديق فى الفندق فقالوا له أنه فى قسم الشرطة؟ فماذا كانت تهمته أو جريمته ومتى خرج من القسم؟ وكيف كانت هيئته ساعتئذ؟ وهل أخطرت الشرطة الإماراتية الشرطة المصرية بأسباب اقتياده إلى القسم؟ وبأى تهمة، وماذا جرى له وماذا حدث منه أو له؟ وهل هو من أعيد إلى الوطن وكيف تمت إعادته وما الهيئة التى كان عليها جثمانه؟ وهل عاد جثمانا أم أنه ليس هو الذى عاد، لاسيما وأن زوجته لم تره ولم تعاينه، وقالت بعد تشريح جثته التى دفنت على عجل أنها تشك أنه زوجها!! وكيف عاد من دون أن يلحق بجثمانه تقرير طبى متكامل، ولم تخطر سفارتنا بالإمارات لحضور عملية التشريح وهل جرت هناك ام لا؟ نحن الآن فى الألفية الثالثة .. فكيف ولماذا لم يتوقع احد ان ينفجر بركان التساؤلات أو حتى الغضب من جراء ما حدث من غموض فى الإقامة والوفاة، ومن تردد الأصدقاء عليه، ومن دعوتهم له إلى الاقامة فى الإمارات، وأين ذهبوا جميعا واختفوا فجأة ؟ لماذا حينما عاد لم يكن سهلا وطبيعيا أن تأمر النيابة بتشريح جثته، أم تم التشريح دون إعلان؟ وكيف تمنع زوجته من إلقاء نظرة اخيرة على جثمانه هى ومحاميها، حتى أنهم طالبوا بعد أيام من دفنه باستخراج الجثة وإعادة تشريحها، بل وأن تقول زوجته أنها لم تشعر بان هذا الذى تم تشريح جثته هو زوجها؟

> وصل بنا الحال حد ان زوجته تتشكك فى ان من يتم تشريح جثمانه هو زوجها! امر عجيب يدين من منعها من إلقاء نظرة وداع عليه قبل دفنه.

> لماذا أدخلتم الناس فى هذه الدوامة الرهيبة من الشك والتساؤل؟ وفاة شخص واحد تغطى على ٢٦٠٠ شهيد فى لبنان و١٢٠٠ آخرين و٦٠٠٠ جريح فى ايران و ٧٠ الفا فى غزة ؟!!

> هذه الحالة الكارثية يسأل عنها الجميع .. السلطات المصرية والاماراتية.. الإعلام من محمود سعد إلى عمرو أديب!



كل هذه البلبلة وعشرات التساؤلات الحالية والمستقبلية لماذا تركناها بلا إجابة؟ لماذا أدخلنا أنفسنا فى دوامة لن تتوقف.. فنحن بين أمرين: إما أن العوضى سيصبح فى نظر الناس مقتولا او شهيدا، وستصبح السلطة هناك فى الإمارات قاتلة، وستصبح السلطة هنا متسترة أو متواطئة؟ لماذا ارتكبنا كل هذه الأخطاء فحولنا طبيبا مفصولا من نقابته إلى شهيد؟ وإلى ضحية وإلى مناضل عتيد ضد شركات الأدوية؟ لماذا أهملنا طرح الأسئلة الصحيحة، ونجيب عليها، ولاندرى أنه كلما غمض موضوع وفاته سيتحدث الناس أكثر وأكثر.. وكأنّها كرة ثلج تتدحرج وتكبر وتشتعل مع الوقت!

لا أعرفه.. ولم اسمع عنه قبل رحيله المفاجيء.. إلا قليلا. طريقته فى الحديث لم تقرب المسافات بيننا، كطبيب ومواطن (يعمل صحفيا). لكن الإجابة عن هذه الأسئلة المشروعة هى وحدها القادرة على فك طلاسم وفاته المفاجئة، التى أصبحت الشغل الشاغل للعامة والمثقفين على السواء!



**بقلم: محمود الشربيني**

سعر النسخة فى الدول العربية الكويت ٤٠٠ فلس - السعودية ٤ ريالات - البحرين ٤٠٠ فلس - قطر ٤ريالات - الامارات ٤ دراهم - عمان ٤٠٠ بيزة - الأردن ٤٠٠ فلس - تونس ٦٠٠ مليم - فلسطين ٣,٠ دولار - لبنان ١٥٠٠٠ليرة - اليمن ٤٠ ريال- المملكة المتحدة ٢ جيك

قالت العرب

اجعل نفسك ميزانا في ما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما
تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها. ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم،
وأحسن كما تحب أن يحسن إليك... ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك

الإمام علي بن أبي طالب

المشهد

العدد 351 – السنة الرابعة عشرة– الجمعة 1 مايو 2026 م – 14 ذو القعدة 1447 هـ


حرب السودان


تصاعد دخان إثر انفجار في طهران

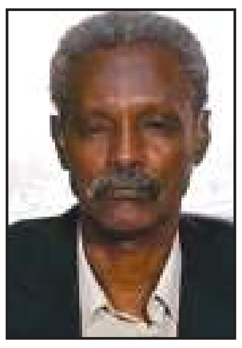
# الحرب على إيران تضع صراع السودان فى خانة النسيان

**تدخل الحرب السودانية عامها الرابع، وسط صورة أكبر من الصراع الدولى بين أمريكا وإسرائيل من جهة وإيران من جهة أخرى، ولم يشفع تهجير ١١،٥ مليون سودانى من أراضيهم وآلاف القتلى والجوعى لالتفاتة دولية حاسمة توقف كل فى مكانه، على العكس ربما يجد الضمير الدولى فى هذه الحرب الأمريكية الإيرانية ذريعة لتبرير موقفه المتخاذل تجاه السودان.. "المشهد" فى هذا التحقيق ينقل من أرض الواقع آراء كتاب ومحللين تطور الأحداث فى السودان والسيناريوهات المحتملة للتسوية بين الجيش الوطنى السودانى وقوات الدعم السريع، خاصة فى ظل وقف صفقات سلاح من الداعمين..**


ازمات انسانية تسببت فيها حرب السودان


**طاهر المعتصم:**
**القبول بتسوية شاملة وإما حرب أهلية لا تبقى ولا تذر**


**د. هبه البشبيشي:**
**الحرب الأمريكية الإيرانية أوقفت كل قنوات الإمداد لقوات الدعم السريع**


**كمال كرار:**
**الحرب والتوترات فى الخليج انعكست سلبا على المشهد فى السودان**


**د. محمد قسم الله:**
**توتر الممر المائى له تأثير قوى على الجانبين الإنسانى والاقتصادي**


**هشام أبو ريدة:**
**الدول الكبرى تقدم مصالحها على مصلحة الشعوب**


قصف على طهران


أحد انفجارات طهران

### صفقات السلاح

يرى الصحفى والقيادى بالحزب الشيوعى السودانى كمال كرار أنه على مستوى الأولويات الدولية، فالحرب الامريكية الايرانية جعلت الاهتمام الدولى ينصب عليها وعلى تداعياتها الجيوسياسية والاقتصادية، وبالتالى تدحرج الاهتمام بالحرب فى السودان التى بات يطلق عليها الحرب المنسية، ويقول: لا تزال الحلول المطروحة تدور فى حلقة مفرغة، فالحرب والتوترات فى الخليج انعكست سلبا على المشهد الاقتصادى فى السودان، والحرب نفسها عصفت بالاقتصاد بسبب التدمير الهائل للقطاعات الانتاجية، بيد أن الحرب الإيرانية الأمريكية وإغلاق مضيق هرمز خلق صعوبات فعلية أمام واردات السودان، وبالذات المنتجات النفطية التى صعدت أسعارها بصورة كبيرة فى السودان، إضافة لارتفاع أسعار السلع الضرورية بسبب رفع سعر الدولار الجمركى وزيادة الضرائب، هذا الوضع خلف أوضاعا معيشية قاسية واضرابات على مستوى القطاعات المهنية بسبب تدنى الأجور، رغم أن المصادر الرسمية السودانية نفت وجود أى صفقة سلاح، إلا أن تفاصيل هذه الصفقة وما دار حولها انكشف على نطاق واسع، اللافت للاهتمام أن الصفقة قبل التراجع عنها كانت بتمويل سعودى مما يشير لحجم التدخلات الخارجية فى حرب السودان، والتدليل على أنها صارت حرب وكالة لتعزيز مصالح دول اقليمية فى السودان، ولكن تراجع السعودية عن التمويل فى اللحظة الأخيرة أجهض هذه الصفقة، بالتأكيد قد يؤثر هذا على امدادات السلاح لسلطة بورتسودان، ولكن قنوات أخرى كثيرة للتسليح لا تزال مفتوحة لطرفى الصراع، والذهب يعتبر مصدر التمويل الرئيسى للسلاح، وبالتالى تستمر الحرب، إلى أن يستطيع العالم محاصرتهما وتجفيف مصادرهما للتسليح، وبالتالى فرض وقف إطلاق النار، وسيكون متاحا إذا وجدت حالة من توازن الضعف بين الطرفين.

هذه الحرب ومنذ طلقتها الأولى – كما يضيف كرار – قلنا رأينا الواضح فيها أنها حرب ضد الوطن والمواطن ومؤامرة على ثورة الشعب وآماله فى الدولة المدنية، لا منتصر فيها ولا مهزوم، وهذا ما حدث ويحدث، بعد أكثر من ثلاث سنوات لم يتحقق النصر الحاسم فيها، بل يستمر تقسيم السودان ونحن نرى التدخل الخارجى الكثيف، والسلاح المنهمر لطرفى الصراع والتجييش والعسكرة ونشوء العشرات من المليشيات المسلحة .

ويضيف كرار: فى تقديرى سيبقى الوضع على حاله، الجنجويد فى دارفور وبعض مناطق كردفان، والجيش وحلفاؤه فى مناطقهم، والاعتماد على المسيرات أو المعارك المحدودة وليست المواجهات الكبيرة الى حين التوصل لتسوية ما، هذه الحرب وتداعياتها توضح بما لا يدع محالا للشك أن وجود المليشيات والعسكر فى المشهد السياسي، خطر على السودان ووحدته ونسيجه الاجتماعي، وأنه آن الأوان لتصحيح المعادلة المختلة فى بلادنا، بإبعاد المؤسسة العسكرية نهائيا من السياسة والاقتصاد وهيكلتها وحل كافة المليشيات، وتوطيد دعائم الحكم المدنى التعددى فى السودان.

### الممر المائي

ويقول الأكاديمى الدكتور محمد قسم الله إبراهيم: الحرب (الأمريكوإسرائيلية) من طرف وإيران من الجانب الآخر، لها انعكاساتها على كل دول المنطقة والإقليم كما رأينا بطبيعة الحال بل والعالم أجمع، فى ضخ النفط ومشتقاته وأسعاره العالمية وطرق المرور الدولية فى مضيق هرمز وغير ذلك من التعقيدات، كما أنّ منطقة الشرق الاوسط ككل منطقة حيوية جدا ومحورية وصغيرة نسبياً ولها من أهميتها الجيوسياسية ما لا يمكن تجاهله، فالحرب التى لا تزال إرهاصاتها تلوح فى الأفق لم تنته بعد، ما دامت معطياتها متوافرة والتدافع العسكرى والسياسى لا يزال ماثلاً وقابلاً للانفجار المتجدد، وامريكا ترامب لديها من التحالفات والوصاية والمصالح مع ربيبتها اسرائيل ما يجعل الباب مفتوحاً للصراع الطويل فى هذه المنطقة الملتهبة تاريخياً منذ ما قبل اتفاقيات سايكس بيكو وصراعات الهلال الخصيب.

والسودان كواحد من دول الإقليم ومحيطها قطعا سيتأثر بصفة مباشرة وغير مباشرة بالحرب الأمريكية الإيرانية خصوصاً مع ما يعانيه السودان من حرب أهلية قاسية وقاتلة منذ ثلاث سنوات.

ويوضح قسم الله أن إيران كانت مورداً للتسليح العسكرى السودانى منذ سنوات بعيدة وربما ستنصرف إيران لجبهتها المفتوحة فى حربها ضد امريكا وإسرائيل، وبالتالى قد تتأثر اللوجستيات العسكرية نوعا ما رغم ان الجيش السودانى يسيطر على زمام الأمور بكفاءة ويمتلك منظومة تصنيع حربى مؤسس ومخزونات بالضرورة ولن يكون بحاجة للتسليح الايرانى المتتالى كما تروج له بكثافة بعض الوسائط هنا وهناك، فالأثر العسكرى للحرب مع إيران من هذه الزاوية بالنسبة للسودان يبقى ضئيلا.

ويقول: لكن بالمقابل التوتر الذى خلفته الحرب فى دول المنطقة وخصوصاً الممر المائى المهم فى مضيق هرمز له تأثير بطبيعة الحال على السودان من الجانبين الإنسانى والاقتصادي، فالكثير من واردات الوقود والغاز تأتى عبر هذا المنفذ، والسودان اصلا يعانى ندرة فى هذا البند منذ انطلاقة الحرب، واليوم فى واقع الناس السودان يعانى ارتفاعا متواترا فى اسعار البنزين وغاز الطبخ بمتوالية متسارعة، ويومياً يكاد يكون هنالك سعر جديد، اسطوانة غاز الطبخ الصغيرة فاق سعرها مائة ألف جنيه سودانى مع ندرتها وهى تقابل راتب موظف خلال شهر كامل، فتأمل نسبة الغلاء هنا أن لا يكفى راتب شهر لموظف حكومى سودانى لتأمين اسطوانة غاز طبخ صغيرة، هذا جزء يسير من معاناة الشارع والذى سيتفاقم مع ندرة الوقود وتضخم اسعاره عالمياً وصعوبة الحصول عليه علاوة على تعقيدات داخلية موروثة فيما يلى هذا الجانب المأزوم فى ظل غلاء طاحن افرزته الحرب الاهلية.

من الناحية الإنسانية ستؤثر الحرب الإقليمية على انسياب المعونات الدولية من دول الخليج خصوصاً، وحتى من منظمات دولية لإمداد المواطنين بالغذاء والكساء فى معسكرات النزوح.

ولكن ثمة تأثير إيجابى للحرب الامريكواسرائيلية الإيرانية حيث يمكن أن تقلل من الضغط الغربى على الحكومة السودانية.

ويوضح: إنّ انشغال العالم يقلل الضغط لفرض أجندات خارجية غير عادلة فى حرب دفع ثمنها المواطن الأعزل الذى ينحاز للجيش بصورة مطلقة فى مواجهة مليشيات تتدفق عليها المعونات والدعم العسكرى بصورة غريبة، وهذه المليشيا بطابعها القبلى لولا هذا الدعم الخارجى ماليا ودبلوماسيا ولوجستياً لتقطعت بها السبل وانتهت مغامرتها منذ شهرها الأول. ولكن الدعم الخارجى المتخفى فى عباءة دول غرب أفريقيا الفقيرة أسهم فى تطاول أمد الحرب التى تمضى الآن نحو نهاياتها مع تراجع المتمردين لمساحات تضيق كل حين غرب السودان. فالغربيون ابدوا انحيازا وتجاهلاً واضحا تجاه الحرب السودانية وكذلك الأمم المتحدة التى تعالت انتقاداتها إبان الحرب الامريكواسرائيلية الإيرانية، هذه الأمم المتحدة لم يسهم امينها العام بالتكرم بإبداء القلق على الحالة السودانية كما درج دائما، ناهيك عن قيادة دور مؤثر فى ايقاف الأزمة السودانية، عموما رب ضارة نافعة هنا يمكننا ان نصف انعكاس الحرب الامريكية الإيرانية على السودان متمثلا فى تراجع التدخلات الخارجية وحشر الأنف فى المسألة السودانية وهى شأن داخلى بحت يجب ان تتعامل فيه المؤسسة العسكرية بحسم مع تمرد وحدات عسكرية عليه.

أما ما يلى الموقف السعودى فهو موقف مشهود له بالإيجابية منذ وقت مبكر وحتى زيارة الأسبوع الفائت للفريق البرهان للمملكة، وهى زيارة تعكس الدور الإيجابى الكبير الذى تمثله السعودية بالنسبة للسودان فى قضيته الآنية. وللسعودية دور كبير فى إعادة الاستقرار للسودان باستثمارات تم الاعلان عنها فى سبيل إعادة الإعمار ودعم السلام.

### كفة الجيش

ويرى د. محمد قسم الله أنه فيما يتعلق بزاوية النظر للحرب الامريكية الايرانية وبما يمكن أن تؤثر فيه على تنظيم صفوف الحنجويد، فهذا أمر مستبعد للغاية، فالكفة هنا تميل للجيش من حيث التكتيك والتكنيك العسكرى الميداني، وسيفقد الدعم السريع مع انصراف الأنظار للحرب الإقليمية العديد من منافذه وستغلق أمامه عشرات الأبواب مالياً ولوجستياً، والانتصارات التى يتوالى إعلانها من جانب الجيش فى مناطق العمليات فى غرب السودان خير دليل على الهزائم المتتالية لمتمردى الدعم السريع الذى بات يترنح ويلفظ انفاسه الأخيرة، بل ويفقد أبرز قادته كما رأينا فى انضمام الرجل الثالث فى الدعم السريع الفريق النور القبة ورجوعه للجيش ومعه قواته ومعداته ومقدراته الكبيرة والاستراتيجية، الشيء الذى اعتبره المراقبون ضربه قاصمة للدعم السريع الذى بدأ يفقد موارده البشرية بعد ما فقد بدرجة مؤثرة الدعم الخارجى الذى ارتكب به فظائع ميدانية مشهودة افقدته مبكرا أى تعاطف فى الشارع السودانى العريض.

خلاصة الأمر ومع مخاطر الحرب الامريكوإسرائيلية الإيرانية وتهديد الأمن الدولى والمحيط الإقليمي، ولكن تأثيرها المباشر على الوضع فى السودان يظل هامشياً وبقدر يسير ومحدود جدا، فالجسد السودانى وللحقيقة أرهقته صراعات الداخل منذ آماد طويلة، حيث لم يبق فيه موضع إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح.

### اللجنة الرباعية

تؤكد د. هبه البشبيشى أستاذة الدراسات الأفريقية فى جامعة القاهرة أن أزمة السودان تراجعت الخلف بعد الحرب الأمريكية الإيرانية، بل إفريقيا بكل مشاكلها وأزماتها، ومنها أزمة الانقلاب العسكرى الذى كانت تندد به فرنسا فى الغرب الإفريقي، كل هذه الأزمات تراجعت، وأوضحت أن تراجع السعودية عن دعم الجيش السودانى بصفقة سلاح باكستانية لأنها أصبحت مهددة من قبل إيران، فهى تحتاج إلى سلاح ردع للهجمات الإيرانية التى يمكن أن تتعرض لها، والحرب الإيرانية شغلت المنطقة كلها، وأثرت بشكل مباشر على أحداث السودان، لكن هذا لا يعطى الفرصة لأن تعيد قوات الدعم السريع "الجنجويد" ترتيب أوضاعها، لأن الداعم الأول لها كان الإمارات، والإمارات من الدول التى تم ضربها من قبل إيران، فهل الإمارات اليوم لديها القدرة أن تدعم حميدتى وتمده بالمسيرات والسلاح، على العكس نجد أنه مع بداية الحرب الأمريكية الإيرانية أوقفت كل قنوات الدعم التى كانت تمد حميدتى بالمال والسلاح، سواء من إسرائيل أو الإمارات، وهناك مشكلة حدثت بين مصر والسعودية من جانب والإمارات من جانب بسبب دعم أبو ظبى للجنجويد، رغم أن الإمارات أحد أعضاء اللجنة الرباعية (مصر، السعودية، الإمارات وأمريكا)، لتهدئة الأوضاع فى السودان، فكانت الإمارات تدعم حمدتى من جهة ومصر والسعودية يدعمان الجيش النظامى بقيادة البرهان، وهذا انقسام فى اللجنة الرباعية، فعندما حدثت الحرب الأمريكية الإيرانية كانت الإمارات من الدول التى تم ضربها بالصواريخ الإيرانية، وتعرضت لأضرار جسيمة، لكن هذا لا يمنع أن تتحد آراء اللجنة الرباعية خاصة الثلاثى العربى لحل أزمة السودان، ووجود أى جماعة مسلحة لا يمكن أن تنتصر على جيش دولة، ولكنه استنزاف لقوى الجيش ومصادر الدولة، ومزيد من إراقة دماء أبناء الوطن الواحد، وافريقيا شهدت خروج أكثر من ثلاثين جماعة مسلحة على الدولة ولكن لم تستطع هذه الجماعات الاستحواذ على الدول، مثل جماعة ٢٣ مارس فى الكونغو، حركات الصومال، والمجتمع الدولى تنبه لما حدث عام ١٩٩٣ بانفصال ارتريا عن اثيوبيا.

تضيف د. هبه البشبيشي: أعتقد أن حميدتى سيلجأ إلى مساومة سياسية لخروج آمن، خاصة أن كينيا تفهمت الأوضاع بشكل أوضح بعد زيارة وزير الخارجية المصرى وتفاهموا على أن دعم كينيا لحميدتى يعنى انهيار منطقة حوض النيل بالكامل وتقسيم السودان لأكثر من ٢٠ دولة، لن يكون انفصال إقليم دارفور وحده، ولكن ستحدث انقسامات لدويلات صغيرة، فليس لدينا استعداد لهذا الوضع، وإلا فكينيا أيضا سيتم تقسيمها، فالدول الإفريقية لديها مشكلة الاندماج الوطنى بمعنى تعدد القبلية، ورغبة كل قبيلة فى الانفصال، واذا ترك هذا الأمر لأهواء التعددية القبلية سيتم تفتيت القارة بكاملها، لكن قوات الدعم السريع لن تعود كما كانت، ولكن سيمتثل حميدتى للتسوية السياسية التى عرضها البرهان بدمج قوات الدعم السريع فى الجيش الوطنى دون محاسبات، لا محاكمات عسكرية لقوات الدعم السريع، ولا محاكمات مدنية إنما مصالحات، وضمان خروج آمن لكل القيادات الكبرى فى الدعم السريع، وفتح العملية السياسية المدنية، بإعادة تشكيل الأحزاب السياسة، ومشاركة المرأة، وعودة الأحزاب السودانية التى تقيم فى الخارج، لكن إعادة تموضع قوات الدعم السريع مستبعد بنسبة كبيرة.

### قوائم الإرهاب

ويؤكد المحلل السياسى طاهر المعتصم أن هناك أثر ملموس للحرب الأمريكية الإيرانية على وضع الحرب فى السودان، فبعد أسبوعين من هذه الحرب فى ٢٨ فبراير صدر قرار من وزارة الخزانة الأمريكية ووزارة الخارجية صنف جماعة الإخوان المسلمين وواجهاتهم بأنهم جماعات إرهابية، وهذا ملحظ مهم، إذ أن هؤلاء يعملون ضمن تحالف الجيش السوداني، وأيضا وقف السعودية صفقة سلاح للجيش السودانى أتى فى توقيت صعب للغاية وأظن أن هناك علاقات بعد أن شاهدنا اعتقال السيدة الإيرانية فى واشنطن كمتهمة ببيع الأسلحة، وورد أن السودان جزء من تعاملاتها، وهذا الأمر من الخطورة بمكان.

وعن إمكانية إعادة قوات الدعم السريع "شبه العسكرية" ترتيب قواتها يقول: لا اعتقد أنهم قادرون على إعادة صفوفهم فى ظل انشغال العالم بحرب أمريكا وإيران، إذ أن الداعمين الرئيسيين لهم جزء من هذه الحرب، كما أنه بدأت انشقاقات كبيرة على مستوى القيادات فى قوات الدعم السريع والانضمام للجيش السودانى وآخرهم القائد الثالث فى هذه القوى " النور قبة"، فالدعم السريع ليس فى أفضل حالته، ومنحنيات الحرب نفسها منذ بداية الصراع وحتى الآن تكاد تدخل فى المنطقة الرمادية، إذ أننا لا نشهد تقدما عسكريا واضحا، ولا نشهد فك المدن من براثن قوات الدعم السريع أو العكس– لا قدر الله–.

يضيف المعتصم: أعتقد أن هناك عدد من السيناريوهات ربما هناك تسوية وإعادة ترسيم للمشهد إقليميا، كما شهدنا زيارة قائد الجيش السودانى للرياض ولقائه بولى العهد السعودى وأيضا ذهابه إلى سلطنة عُمان ولقاءاته فى هذا الإطار، وأيضا زيارة مسعد بولس كبير مستشارى الرئيس الأمريكى لكل من تركيا ومصر ولقائه بفخامة الرئيس السيسى فى مصر والتأكيد على أنه لا حلول عسكرية لهذه الحرب، تقديرى أنه ستتم تسوية شاملة لإنهاء هذه الحرب وتوقفها بشكل كامل، السيناريو الآخر ربما يتمسك بعض الأطراف هنا وهناك بسيناريو الحرب، مما ينذر بحرب أهلية لا تبقى ولا تذر، والسيناريو الثالث تسوية غير شاملة أو لا كاملة لا تصل إلى جذور الأزمة تنتج حلولا مشوهة تؤجل الحرب لفترة وتعود مرة أخرى.

### القضية المنسية

ويقول الناشط السياسى والناطق باسم الجبهة الشعبية العريضة هشام أبو ريدة: الحرب أثرت على العالم كله، وليس السودان فقط، التى أصبحت منسية؛ ليس اليوم، ولكن منذ انطلاقتها، لأن تعاطى المجتمع الدولى مع القضية السودانية لم يكن بالقدر المطلوب، والشعب السودانى محبط من المجتمع الدولى وتعامله مع الحرب، وأشرنا فى أكثر من مناسبة أن المجتمع الدولى كان عليه أن يفرض آلياته التى تعمل على وقف الحرب وعدم تهديد السلم والأمن الدوليين، لكن المجتمع الدولى والدول الكبرى ظلت تقدم مصالحها على مصلحة الشعب السوداني.

أما صفقات السلاح خاصة من الدول التى كان لها يد العون لمناصرة الشعب السودانى فهذه الدول رغم توقف الدعم العسكرى إلا أنها ما زالت تقف إلى جانب الشعب السودانى وقضيته، ولكن هنالك كثير من الأجندات الخفية التى يتعامل بها المجتمع الدولى مع القضية السودانية، والمطلوب مساندة الشعب السودانى وليس النظام الذى ما زال مُصرا على عدم التحول الديمقراطي، نفس الوجوه التى تسيطر على المشهد السياسى منذ ١٩٨٩ هى نفسها تلك الوجوه التى تدير الحياة السياسية، وبالتالى هذه الحرب هى حرب من ضمن أهداف هذه المنظومة، ظلوا يتمترسون ضد أى تحول ديمقراطى فى السودان، وظلوا يشعلون فتيل الفتنة والشقاق ويحولون الشعب السودانى من موقف إلى موقف، لذلك الخطاب الوطنى والخطاب الإسلامى وغيرها من الخطابات التى يستخدمونها فى توجيه الشعب السوداني، فهذه الحرب الممنهجة نجحت فى شق الصف السوداني، وهناك كثير ممن كانوا يدعون إلى تقديم النظام للمحاكمة أصبحوا أبواقا للنظام فى الحرب الكلامية.

أما الجنجويد لا يملكون إلا قلة من الكومبارس على مسرح الإسلاميين، هذه المليشيات بتاريخها الأسود المصنوعة من قبل النظام من أجل الإحلال والإبدال للمؤسسة العسكرية، وتم تسليحها وامدادها وتسليمها الدور للوحدات العسكرية، والمليشيات يديرها الجماعات الإسلامية برئاسة حسبو عبدالرحمن، هناك كثير من الضباط المنتمين للجماعات الإسلامية انضموا للمليشيات، فبالتالى الحديث عن إعادة صفوفها خاضع لرؤية الإسلاميين الذين يديرونها وفقا لأهوائهم، وهو ما رأيناه فى هذه الحرب باستخدامهم لسرقة وانتهاك حرمات الشعب السوداني، والانتقام من البنية التحتية للبلد.

وتوقعاتنا أن هؤلاء الإسلاميين سوف يعملون حتى فى وجود قوى مدنية إن ظلت تتعايش مع الإسلاميين والتعامل مع الوضع الناعم للحياة السياسية، وهذه الفئة فشلت فى فرض هذا الواقع على الشعب السودانى بقبول الإسلاميين فى الحياة السياسية مهما طال أمد هذه الحرب.

تحقيق – آمال رتيب

المشهد
العدد 351 السنة الرابعة عشرة- الجمعة 1 مايو 2026 م- 14 ذو القعدة 1447 هـ

قالت العرب

"من يدخل الجنة اولاً؟ من مات برصاص العدو
ام من مات برصاص الأخ؟ بعض الفقهاء يقول:
رب عدوُ لك ولدته أمّك"

# الخليج أمام لحظة كاشفة: زمن الحماية الأمريكية انتهى!

## بعد اختبار الصواريخ الإيرانية.. متى يبدأ سباق البحث عن بدائل؟



**لم تعد صورة اليوم فى الخليج كما كانت.. فالتصعيد الأخير والضربات التى طالت عمق دول كانت تصنف لسنوات طويلة باعتبارها محمية ضمن مظلة أمنية دولية فتحا بابا واسعا من الأسئلة الصعبة.. هل ما زالت التحالفات التقليدية قادرة على توفير الحماية؟ ام ان المنطقة دخلت بالفعل مرحلة جديدة تتآكل فيها الضمانات القديمة؟**

رجال الإنقاذ ينتشلون جثة في موقع الهجوم الإيراني على بيت شيمش فلسطين المحتلة



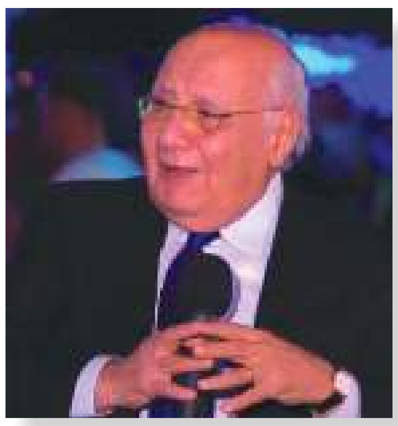
**د. جمال سلامة:**

**فاعلية المظلة الأمريكية فى الخليج أمام اختبار صعب.. وواشنطن تسعى لدمج إسرائيل كعنصر فاعل بالمنطقة**



**د. عمرو هاشم ربيع:**

**الاتفاقات الإبراهيمية أفقدت المنطقة بوصلتها.. واحتواء إيران كان أجدى من صفقات السلاح المليارية**



**السفير رؤوف سعد:**

**الخليج وقع فى فخ المظلة الأمريكية.. وقناة السويس هى المركز الجديد لصناعة الأمن العربى الشامل**



**السفير السيد شلبي:**

**العدوان الإيرانى يمنح الدفاع العربى المشترك مشروعية قومية.. والنظام الإقليمى بحاجة لبناء جديد يتجاوز تصدعات الماضي**

لأول مرة منذ عقود.. يبدو ان الفكرة التى قامت عليها معادلة الاستقرار الخليجى وهى الاعتماد على قوة كبرى لضمان الأمن مقابل الاستقرار الاقتصادى والسياسى تواجه اختبارا حقيقيا... ليس فقط بسبب طبيعة التهديدات المتطورة بل أيضا بسبب حدود الاستجابة.. وتغير أولويات القوى الكبرى نفسها...

فى هذا السياق.. لم يعد السؤال ماذا حدث؟ بل إلى أين يتجه الخليج الآن؟ هل تدفع هذه التطورات دوله إلى اعادة النظر فى تحالفاتها.. والبحث عن توازنات جديدة مع قوى دولية صاعدة؟

ام تفتح الباب أمام خيار أكثر كلفة وتعقيدا يتمثل فى بناء قدرات عسكرية ذاتية قادرة على فرض معادلة ردع مستقلة؟

أم أن الوقع بكل قيوده وتشابكاته قد يدفع نحو سيناريو ثالث... وهو التمسك بالتحالفات القائمة وربما تعميقها رغم كل ما كشفته الازمة من ثغرات؟

بين هذه السيناريوهات المتداخلة... يطرح هذا التحقيق قراءة معمقة لمستقبل الأمن فى الخليج.. من خلال أراء خبراء ودبلوماسيين فى محاولة لفهم ما إذا كنا امام لحظة عابرة... أم بداية لتحول استراتيجى فى واحدة من أكثر مناطق العالم حساسية...

### قضية الدفاع العربى تستعيد بريقها

فى محاولة لتفكيك هذه المشهد .. يرى السفير الدكتور السيد أمين شلبي.. المدير التنفيذى للمجلس المصرى للشؤون الخارجية ومساعد وزير الخارجية الأسبق أن قضية الدفاع العربى المشترك لم تعد مجرد ملف تاريخى مستهلك.. بل استعادت بريقها كضرورة تفرضها التهديدات الوجودية الحالية.

وأشار شلبى الى ان الحديث عن الدفاع المشترك يعيدنا إلى جذور العمل العربى فى خمسينيات القرن الماضى وتحديدا مع توقيع معاهدة عام 1950.. مؤكدا أنه رغم بقاء هذا المشروع لسنوات طويلة حبيس الأدراج، إلا ان التطورات الأخيرة والضربات التى طالت العمق الخليجى منحت هذا الملف مشروعية قومية وقوة دفع غير مسبوقة.

واستطرد السفير شلبى موضحا أن الرؤية المصرية كانت استباقية فى هذا الصدد.. حين دعا الرئيس السيسى فى عام 2016 لبناء قوة عربية مشتركة، متوقعا أن يصبح هذا التوجه المرتكز الأساسى للتنسيق بين القوى المحورية مصر والسعودية والإمارات والأردن.. بمجرد ان تهدأ حدة المواجهة الحالية.

وحول طبيعة الاستقطاب الراهن.. لفت شلبى إلى ان المنطقة تعيش حالة حادة من المواجهة يبرز فيها تحالف الولايات المتحدة واسرائيل ضد إيران.. وهو الصراع الذى وضع دول الخليج فى قلب الاستهداف بعد الاعتداءات التى طالت أمنها واقتصادها.. مضيفا أن الجهود العربية وفى مقدمتها جهود مصر.. تتركز حاليا على سياسة حصر النيران لمنع الانزلاق نحو حرب شاملة قد تعصف بالاستقرار العالمي.. معتبرا أن نتائج هذه الحرب هى التى سترسم المعالم الجديدة لمنظومة الأمن الإقليمي.

وعن حالة النظام العربي.. شدد مساعد وزير الخارجية الأسبق على ضرورة عدم إغفال التصدعات البنيوية التى عانى منها النظام الإقليمى منذ غزو الكويت وصولا لغزو العراق عام 2003.. وهى الأحداث التى قوضت اركان العمل المشترك.. معتبرا أن المرحلة القادمة لا تتطلب فقط امتصاص الصدمات بل جهودا ضخمة لإعادة بناء النظام العربى على اسس تضمن فرض معادلات الردع..

وفى ختام قراءته.. رسم شلبى ملامح سيناريو المستقبل.. مؤكدا أن دول الخليج ستتجه نحو اعادة بناء قدراتها الذاتية للتعامل مع آثار العدوان الإيراني.. لكنه أوضح ان هذا التحرك لن يكون بمعزل عن محيطه... بل سيدفع نحو تعميق الوحدة داخل مجلس التعاون مع تعزيز التنسيق الاستراتيجى مع مصر والأردن كظهير أمنى لا غنى عنه فى مواجهة الأطماع الاقليمية...

### حقائق جديدة تعيد صياغة المستقبل

و يقدم السفير رؤوف سعد مساعد وزير الخارجية الأسبق ومستشار وزيرة البيئة للاتفاقيات الدولية.. قراءة استراتيجية ترى أن أمن المنطقة وحدة واحدة لا تتجزأ.. مؤكدا أن الدروس المستفادة من حربى غزة وإيران كشفت عن حقائق جديدة ستعيد صياغة المستقبل...

ويستهل السفير سعد رؤيته بالإشادة بالدور المصرى فى أزمة غزة واصفا إياه بالدور المنفرد والمحورى الذى استطاع إدارة أعقد المعارك السياسية خلف الأبواب المغلقة... وأوضح أن مصر نجحت فى تجنب فخاخ كبرى مثل التهجير أو الصدام المباشر.. محققة معادلة صعبة جمعت بين حماية الأمن القومى واستقرار الإقليم.. وهو ما مهد الطريق لتحول تدريجى من لغة الحرب إلى مسارات السلام..

وانتقل سعد إلى نقطة جوهرية تتعلق بالعلاقة الخليجية الامريكية... معتبرا أن المواجهة مع إيران كشفت عن تصدع واضح فى هذا التحالف.. ويرى أن دول الخليج وجدت نفسها طرفا فى حرب لم تخترها.. بل وأصبحت عرضة لاعتداءات مباشرة طالت بنيتها التحتية بسبب قواعد ودعم المظلة الامريكية التى يفترض أنها تحميها.. واصفا وضع الخليج حاليا بأنه بين المطرقة والسندان.

ولفت السفير إلى الموقف السعودى كدرس مستفاد يستحق التأمل.. حيث حددت الرياض خطوطا حمراء واضحة برفض التطبيع دون دولة فلسطينية ورفض استخدام أجوائها لضرب إيران مما يعكس إعادة نظر عميقة فى مكتسبات وخسائر العلاقة مع إسرائيل وأمريكا على حد سواء.

وفى طرح هو الأبرز فى حديثه دعا سعد إلى قراءة المشهد من منظور الجيواقتصاد.. مشيرا إلى أن الأمن الحقيقى يبدأ من الممرات الملاحية والربط التجاري.. واستشهد بالخط الملاحى (رورو) الذى يربط إيطاليا بمصر (دمياط) ومنها إلى السعودية ودول الخليج.. إضافة إلى خط (سومد) لنقل البترول السعودى لأوروبا.. ويؤكد سعد: هذا هو الامن الاقتصادى والغذائى الذى يسبق الأمن العسكري.. فقناة السويس والمنطقة الاقتصادية التابعة لها أصبحت المركز الإقليمى الذى لا مثيل له فى العالم.. وهى نقطة البداية الحقيقية لأى ترتيبات أمنية...

وعن السيناريوهات القادمة.. يراهن السفير رؤوف سعد على إرادة جديدة داخل جامعة الدول العربية.. معتبرا أن القوة العسكرية الضخمة المتوفرة لدى مصر مع القوات المتقدمة تكنولوجيا فى الخليج تمثل باسكت أمنى متكامل....

وحذر سعد من الاندفاع وراء شعارات الجيش المشترك قبل أوانها، قائلا: المدخل للمستقبل لن يكون عسكريا بالضرورة فى بدايته.. بل سيكون نتيجة للترابط فى التجارة والملاحة وتوطين الصناعة والذكاء الاصطناعي.. تماما كما بدأ الاتحاد الأوروبى عام 1956 بالتعاون الاقتصادى قبل الحديث عن ناتو أوروبي...

واختتم مساعد وزير الخارجية الأسبق قراءته بكلمات قوية، محذرا من خديعة كبرى يمارسها نتنياهو لإطالة أمد الحرب سعيا وراء نصر موهوم يحميه من السجن.. ومنبها صناع القرار إلى أن الرأى العام العربى صامت ولكنه غاضب.. وأن هذا الغضب تجاه غدر العدوان وإزاء فشل التحالفات لن يستمر صامتا للابد.. مما يستوجب فك روابط الاعتمادية الامنية الخارجية وبناء إرادة سياسية عربية مستقلة تستثمر فى الموارد وتوطن الصناعة.

### فقدان الدول لكيانها واستقلاليتها

و يضع الدكتور عمرو هاشم ربيع.. مستشار مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية.. يده على مكمن الخطر فى بنية النظام الإقليمى محذرا من أن غياب الأمن العربى بمعناه القومى سيؤدى بالضرورة إلى فقدان الدول لكيانها واستقلال قرارها....

ويرى ربيع أن الأزمة الحالية لا تقتصر على كونها أزمة أمنية عابرة.. بل هى أزمة فى بنية النظام الإقليمى العربى ككل.. مرجعا ذلك الى فقدان البوصلة لدى بعض الأطراف التى رمت بثقلها وراء الاتفاقات الإبراهيمية والتحالفات مع الولايات المتحدة.. متجاهلة حقيقة أن المصالح العربية يجب ان تظل بعيدة عن أى ارتهان لغير الهوية العربي.. مؤكدا أن أى طرف غير عربى هو الأبعد فإذا كان الجوار الإسلامى تركيا وإيران بعيدا نسبيا.. فإن الطرف الأمريكى والإسرائيلى هو الأبعد على الإطلاق..

وشدد مستشار مركز الأهرام على ضرورة التعامل مع إيران كـ دولة باقية وقائمة تمتلك مساحات شاسعة وكتلة بشرية ضخمة.. معتبر أن الرهان على تغيير النظام هو رهان خاسر لن يغير من جوهر الصراع.. ومذكرا بأن دولة الشاه.. رغم ولائها المطلق لواشنطن كانت تمثل مخلب قط فى مواجهة دول الخليج.

وأضاف ربيع: ان العداء ضد إيران يتجاوز الهوية الطائفية أو الشيعية، فحالة التنافر ستستمر سواء كان النظام إسلاميا أو علمانيا.. طالما أن هناك محاولات لتأسيس شرق أوسط جديد يسعى لدمج إسرائيل فى المنظومة الأمنية للمنطقة..

وفى نقد صريح للسياسات الراهنة.. جزم ربيع بأن دول المنطقة لو استثمرت جزءا يسيرا من المبالغ الطائلة المنفقة على صفقات السلاح الغربى فى احتواء وترويض إيران.. لنجحت فى تجنيب المنطقة ويلات التصعيد.

ولفت ربيع إلى أن الاستقطاب الحاد مع واشنطن هو الذى ولد حالة العداء الراهنة.. رغم تأكيده على أن إيران ليست معفاة من المسؤولية.. خاصة فيما يتعلق باستهداف البنية التحتية فى الخليج.. مستشهدا بإحصائيات الصواريخ والمسيرات التى أظهرت أن نصيب دول الخليج من الاستهداف كان أكبر بكثير مما وجه لإسرائيل.. وهو أمر لن تتساه شعوب المنطقة..

واختتم الدكتور عمرو هاشم ربيع قراءته بالإشارة إلى أن التهديدات الخارجية عادة ما تؤدى إلى زيادة المركزية والتعاضد الشعبى مع الأنظمة.. موضحا أن الموزاييك العرقى والإثنى داخل ايران يتوحد خلف الدولة أمام التهديد الخارجي.. وهو ما يجعل محاولات إسقاط النظام من الخارج أو من خلال الضربة الأولي.. محاولات غير واقعية وتفتقر لفهم طبيعة المجتمعات فى المنطقة..

### قناعات الخليج لن تتغير

ويقدم الدكتور جمال سلامة.. أستاذ العلوم السياسية بجامعة السويس.. قراءة مغايرة فيرى فيها أن دول الخليج لا تزال قانعة بالمظلة الامريكية رغم ثبوت عدم فاعليتها على أرض الواقع...

ويرى سلامة أن الاظمة الدفاعية الأمريكية التى تملا الخليج ويقوم على تشغيلها خبراء أمريكيون.. لم تمنع وصول الصواريخ والمسيرات الإيرانية إلى أهدافها وإصابة مدنيين.. مؤكدا أن هذه التحالفات لم تؤد الغرض المطلوب منها... وانتقد سلامة التناقض فى الموقف الأمريكي.. لافتا إلى تصريحات ترامب حول تحميل الخليج تكلفة الحرب.. معقبا: من المفترض أن تحصل دول المنطقة على مقابل لتوفيرها تسهيلات وقواعد عسكرية على أراضيها، لكن ما يحدث هو العكس، فالولايات المتحدة هى من تحصل على الكلفة تحت مسمى حماية أمن الخليج.

وفيما يخص موازين القوى الدولية.. يتبنى أستاذ العلوم السياسية رؤية حذرة.. حيث يؤكد أنه لا توجد تعددية قطبية حقيقية حتى الآن.. ويوضح سلامة أن الولايات المتحدة لا تزال تمسك بزمام الأمور فى ظل عجز الاتحاد الأوروبى عن التدخل فى الأزمات الكبرى.. واكتفاء روسيا بالتحركات الدبلوماسية فى مجلس الأمن..وانكفاء الصين على مصالحها المتاخمة لبحرها الجنوبي.. مشددا على أن العالم لا يزال أمام قطب واحد فاعل.

وحذر سلامة من أن المنطقة لا تشهد استقرارا نسبيا.. بل تمر بعملية إعادة توزيع للبنية الإقليمية تبرز فيها إسرائيل كقوة مركزية تأخذ دورا أكبر من حجمها الطبيعي.. خاصة فى ظل السلام الإبراهيمى الذى تسوق له واشنطن لدمج إسرائيل كعنصر فاعل من الخليج إلى المغرب العربي...

واختتم الدكتور جمال سلامة قراءته بالإشارة إلى أن الداخل الإقليمى هو العامل الحاكم حاليا.. مستشهدا بقدرة إيران على الصمود واستحداث اوراق ضغط مثل التهديد بإغلاق مضيق هرمز بهدف توزيع الألم والغرم على العالم أجمع.. فى مقابل استراتيجية أمريكية تحاول محاصرة هذا النفوذ انطلاقا من خليج عمان وبحر العرب.. متوقعا ان تنتهى الحرب الحالية بفرض واقع جديد تشارك فيه إسرائيل بشكل أعمق فى المنظومة الشرق أوسطية.



حشود من الإيرانيين في طهران بعد إعلان اغتيال المرشد علي خامنئي في أعقاب غارات إسرائيلية وأميركية. ١ مارس

فى النهاية... لا يبدو أن ما جرى فى الخليج مجرد اختبار عابر لقدرات الدفاع أو خلل مؤقت فى كفاءة التحالفات.. بل أقرب إلى لحظة كاشفة أعادت طرح الأسئلة المؤجله حول معنى الأمن ذاته فى منطقه اعتادت شراءه أكثر مما اعتادت صناعته.

فما بين مظله أمريكية تتآكل فاعليتها.. وقوى إقليمية تعيد تموضعها.. ونظام عربى لم يستكمل بعد إعادة بنائه... يجد الخليج نفسه أمام معادله جديدة لا تقبل الحلول السهلة.. إما الاستمرار فى الرهان على تحالفات لم تعد تضمن الحماية الكاملة، أو الدخول فى مسار أكثر تعقيدا وكلفة لبناء توازنات مستقلة.. أو البحث عن صيغة ثالثة لم تتشكل ملامحها بعد...

وربما لا يكون السؤال الأهم الآن.. من يحمى الخليج؟

بل.. هل لا يزال ممكنا الحديث عن حماية بالمعنى القديم.. أم أن المنطقة دخلت بالفعل زمنا جديد يعاد فيه تعريف القوة والسيادة وحتى مفهوم الأمن نفسه.

تحقيق: مادونا شوقي

المشهد
العدد 351 السنة الرابعة عشرة- الجمعة 1 مايو 2026 م- 14 ذو القعدة 1447 هـ

قالت العرب

"تُنسى كأنك لم تكن / تنسى كمصرع طائر / ككنيسة مهجورة تنسى / كحب عابر / وكوردة في الريح / وكوردة في الثلج / تنسى"
"محمود درويش"




تصاعد الدخان من ميناء جبل علي في دبي. ١ مارس ٢٠٢٦

فى الشرق الأوسط لا تبدأ الحروب فجأة.. بل تتراكم ببطء طبقة فوق أخرى من التوتر حتى تصل إلى لحظة انفجار تبدو وكأنها مفاجئة.. بينما هى فى الحقيقة نتيجة مسار طويل من الصراعات المؤجلة والتحالفات القلقة.

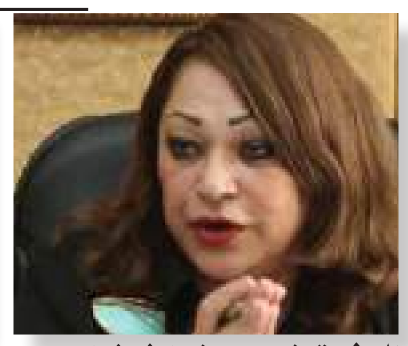
ما يجرى اليوم ليس تصعيدا عابرا، بل اختبار مفتوح لشكل المنطقة وحدود توازنها،

فحين تكون إيران طرفا فى المعادلة لا تبقى المواجهة محصورة.. بل تمتد عبر شبكة نفوذ معقدة تتداخل فيها حسابات الإقليم مع صراعات القوى الكبرى.

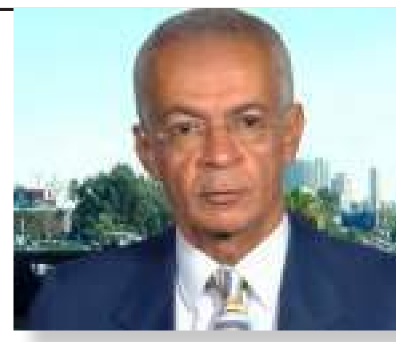
فى الخلفية تتحرك إسرائيل باعتبارها طرفا يرى فى التصعيد تهديدا وجوديا أو فرصة لإعادة ضبط قواعد الاشتباك.. بينما توازن الولايات المتحدة بين تجنب حرب شاملة والحفاظ على نفوذها... فى وقت تراقب فيه روسيا والصين المشهد كفرصة لإعادة ترتيب موازين القوة عالميا..

## حين تشتعل الجغرافيا .. قد تنقل الأزمة من حرب محدودة إلى فوضى إقليمية مفتوحة

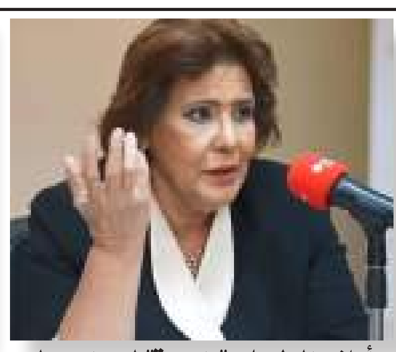
# هل تعيد حرب إيران تشكيل الشرق الأوسط أم تفضح هشاشته؟



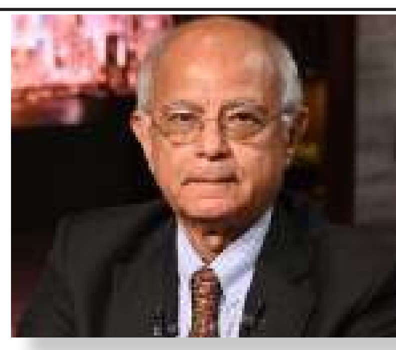
**السفيرة منى عمر: نحن فى زمن "إعلاء المصالح" لا المبادئ، ومنطق القوة هو من يكتب "دبلوماسية التنازلات"**



**السفير معتز أحمدين خليل: واشنطن تطلب الوساطة بعد "صدمة" الرد الإيراني.. والمنطقة مقبلة على "إدارة الأزمة" لا حلها..**



**د. أماني الطويل: "واجهة" لصراع دولى على الممرات والطاقة.. والمنطقة مقبلة على "عقد من الفوضى" لخنق روسيا والصين**



**السفير حسين هريدي: نووي طهران مجرد واجهة.. والهدف إخضاع القوة الأخيرة التى تعيق إعادة تشكيل الشرق الأوسط الكبير..**



**السفير رخا حسن: شبح "الخراب الشامل" يطارد الشركات الأمريكية.. وترامب مضطر لقبول "المقايضة" الإيرانية**



**مصطفى الفقى يصف إيران بالكيان ويقول عن الأزمة: "زلزال كاشف" لصراعات بدأت عام 79.. وطهران فى فخ "التشنج السياسي"**

وسط هذا التشابك لا يعود السؤال.. من سينتصر؟ بل ماذا سيتبقى أصلا عندما تهدأ النيران؟

الإجابة على هذه التساؤلات المعقدة تبدأ من قراءة التاريخ والواقع معا.. وهو ما يطرحه الدكتور مصطفى الفقي.. المفكر السياسى والدبلوماسى المخضرم.

من منظور تاريخى وفكرى عميق.. يرى الدكتور مصطفى الفقى سكرتير رئيس الجمهورية للمعلومات الأسبق ان ما تشهده المنطقة اليوم ليس وليد الصدفة بل هو انفجار لبركان من التوترات الهيكلية..

و يعتبر د. الفقى أن الأحداث الراهنة تمثل رؤية كاشفة وليست منشئة.. موضحا أن المنطقة تعيش على صفيح ساخن من التوتر منذ عام ١٩٧٩.. أى منذ قيام الجمهورية الإسلامية فى إيران، هذا الكيان - كما يصفه الفقى - أثار قلقا مزمنا لدى قوى عديدة فى مقدمتها إسرائيل وصولا إلى دول عربية لم تكن مستريحة للطموحات النووية الإيرانية ورغبتها فى التمدد والسيطرة عبر أذرعها فى المنطقة، وعلى رأسها حزب الله...

ويطرح د. الفقى علامة استفهام كبرى حول السلوك الإيرانى الأخير.. مستغربا إقدام طهران فى هذه المرحلة الحساسة على توجيه ضربات لدول خليجية عربية.. قائلا: لا أعلم بأى منطق أقدمت إيران على استهداف دول الخليج فى هذا التوقيت، فالعقل السياسى يقتضى فى الأزمات الكبرى تقليل الخصوم والخسائر، بينما فعلت إيران العكس تماما.. لا يوجد تفسير منطقى لهذا السلوك إلا حالة التشنج والتوتر الشديد التى تسيطر على المنطقة، والتى دفعت الأمور نحو هذا المنزلق الخطير...

لكن هذه القراءة التى تعيد جذور الأزمة إلى التاريخ.. لا تجيب وحدها على سؤال اللحظة الراهنة... فالتوتر المزمن لا يفسر بالضرورة شكل الانفجار، ولا إلى أى مدى يمكن أن يصل...

وهنا ينتقل النقاش من لماذا حدث ما حدثً؟ إلى إلى أين يمكن أن يذهب؟

فى هذه النقطة تحديدا تتباين التقديرات.. فبينما يرى البعض أننا أمام لحظة قابلة للانفجار الشامل يميل آخرون إلى الاعتقاد بأن سقف التصعيد ما زال محكوما بحسابات الردع... لا الرغبة فى الانتحار الجماعي.

هذه الهشاشة التى تحدث عنها الفقي.. تدفعنا للتساؤل عن حدود التصعيد.. وهنا يقدم السفير رخا أحمد حسن مساعد وزير الخارجية الأسبق وعضو المجلس المصرى للشؤون الخارجية.. قراءة مغايرة تستبعد خيار الحرب الشاملة معتبرا أن المشهد الراهن يتجاوز مجرد الصدام العسكرى العابر إلى كونه صراعا يعيد رسم وجه المنطقة.. وفى تحليله للموقف يستبعد السفير رخا العودة إلى خيار الحرب الشاملة، معتبرا أن استئناف القتال سيعنى دمارا شاملا يطال دول الخليج والمنطقة بأسرها.

ويشير السفير إلى أن التهديدات الإيرانية كانت واضحة.. ففى حال نفذ الرئيس ترامب وعيده بضرب البنية التحتية للطاقة (كهرباء و غاز و نفط).. فإن الرد الإيرانى سيستهدف الدول العربية المحيطة.. ما يعنى دخول المنطقة فى حالة من الخراب الشامل..

وحول التحركات الدبلوماسية.. يوضح السفير أن الحديث عن إرسال وفد أمريكى برئاسة نائب الرئيس إلى إسلام آباد يصطدم حتى الآن بعدم تأكيد إيرانى للمشاركة، طالما استمر الحصار البحرى الأمريكى على الموانئ الإيرانية. ويطرح السفير تساؤلا جوهريا.. هل تستجيب واشنطن وترفع الحصار لتمهيد الطريق للمفاوضات.. أم ستنفذ تهديدها بتدمير المنشآت إذا لم يتم التوصل لاتفاق بانتهاء موعد يحدده ترامب؟..

ويرجح السفير رخا أن يختار ترامب التهدئة ليس رغبة فى السلام بذاته، بل لتجنب آثار مدمرة ستطال الشركات الأمريكية العاملة فى الخليج وإفريقيا وآسيا وأوروبا نتيجة القفزة الجنونية المتوقعة فى أسعار الطاقة، أضف إلى ذلك الضغوط الداخلية والاستياء فى أوساط الحزب الجمهورى خشية فقدان الأغلبية فى انتخابات التجديد النصفى للكونجرس (مجلسى الشيوخ والنواب).. هذه العوامل قد تدفع ترامب للاستجابة لمقترح رئيس البرلمان الإيرانى محمد باقر قاليباف القائم على مبدأ خطوة بخطوة.. فتح مضيق هرمز مقابل رفع الحصار عن الموانئ الإيرانية.

وفيما يخص دور المنظمات الدولية.. يرى السفير أن فاعليتها تتراجع أمام عقلية الرئيس ترامب الذى لا يؤمن بالالتزامات القانونية أو القواعد الدولية، مفضلا التحرك خارج أطرها.. وهنا يبرز دور "الوسطاء الأربعة" (مصر وتركيا وباكستان والسعودية) كقوة تأثير حقيقية تسعى لتقريب وجهات النظر.. ليس فقط نيابة عن مصالحها بل دفاعا عن استقرار دول الخليج والدول الصديقة المتضررة كاليابان.. والدول الإفريقية غير المنتجة للطاقة التى يهدد الصراع أمنها الاقتصادي...

وحول السيناريو الأقرب.. يعتقد السفير رخا أن المسار لابد أن ينتهى باتفاق رغم التحريض الإسرائيلى المستمر، لأن إسرائيل فى النهاية طرف تابع للإرادة الأمريكية... ويكمن الحل فى الوصول لنقاط وسط بشأن القضايا الشائكة.

. تخصيب اليورانيوم.. يمكن الوصول لحل وسط بشأن مدة التخصيب ونسبته.. بعيدا عن التعنت الأمريكى بطلب التوقف لـ ٣٠ عاما.

. مصير اليورانيوم المخصب.. ثمة مقترحات لتسليم المخزون (بنسبة ٦٠٪) إلى باكستان.. أو إبقائه فى إيران تحت إشراف الوكالة الدولية لاستخدامه تدريجيا فى توليد الكهرباء...

ويرى السفير أن هذه الملفات قابلة للتفاوض، فانسحاب اسرائيل من جنوب لبنان قد يدفع حزب الله لتسليم سلاحه.. وكف الهجوم الأمريكى الإسرائيلى على إيران سيؤدى بالضرورة إلى تهدئة الفصائل الموالية لها فى العراق.

ويختتم السفير رخا تحليله بالتأكيد على أن المبدأ الذى ينتهجه ترامب وهو "تحقيق السلام بالقوة" هو مبدأ غير مسبوق دبلوماسيا وغير واقعى مشددا على أن الضمانة الحقيقية التى تطلبها إيران هى تعهد موثق بعدم العودة لخيار الحرب من جانب واشنطن وتل أبيب.

لكن هذا الرهان على العقلانية السياسية، يظل مشروطا بافتراض أن كل الأطراف تتحرك وفق حسابات الخسارة والربح فقط، وهو افتراض لا يصمد دائما فى منطقة تحكمها أيضا اعتبارات الهيبة والردع الرمزى وضغوط الداخل.

ومن هنا تظهر قراءة أكثر تشككا فى فكرة الاحتواء.. قراءة لا ترى فى ما يحدث مجرد أزمة قابلة للإدارة، بل مشروعا ممتدا لإعادة تشكيل المنطقة من جذورها.

لكن وبينما يفتش البعض عن مساحات للتفاوض.. يذهب السفير حسين هريدى مساعد وزير الخارجية الأسبق إلى قراءة مغايرة وأكثر عمقا لأهداف الصراع الراهن مؤكدا أن مآلات هذه الحرب لا تتوقف عند حدود الاشتباك العسكري، بل تمتد لتطال مستقبل المنطقة برمتها... ويرى هريدى أن هذه الحرب ليست مفتوحة على إيران وحدها بل هى أداة لتحقيق أهداف استراتيجية بعيدة كليا عن ملف البرنامج النووى أو الصواريخ الباليستية.

ويؤكد السفير هريدى أن الغرض الأساسى من التصعيد هو "إخضاع إيران للإرادة الأمريكية والإسرائيلية".. وإزاحتها كعقبة رئيسية تقف أمام تنفيذ المخطط (الأمريكى - الصهيوني) لإعادة رسم خارطة الشرق الأوسط.. باعتبارها القوة الأخيرة فى المنطقة التى تمتلك القدرة على عرقلة هذا المشروع بوضعها الحالي.

وحول نوايا واشنطن.. يرى هريدى أنه رغم النفى الأمريكى الرسمي، إلا أن أحد الأهداف الاستراتيجية بعيدة المدى هو تغيير النظام فى طهران.. لكنه يوضح أن هذا التغيير لن يتبع النموذج العراقى عام ٢٠٠٣، بل سيقوم على "استراتيجية التدمير التدريجى والمتواصل".. عبر تزويد قوى المعارضة بالسلاح، بالتوازى مع محاولات مستمرة لاختراق مخابراتى لكافة مؤسسات الحكم بما فى ذلك "الحرس الثوري" وقيادات الجيش، وهو ما يعنى أننا أمام سيناريو حرب طويلة الأمد.

ويكشف السفير هريدى أن الإعداد لهذه المواجهة لا يعود للأيام القليلة الماضية، بل بدأ فعليا منذ انسحاب الرئيس ترامب من الاتفاق النووى (٥+١) فى مايو ٢٠١٨.. والذى اعتبره "نقطة البداية" فى استراتيجية الإطاحة بالحكم فى طهران وإجبارها على الاستسلام التام.



دخان يتصاعد بعد هجوم صاروخي على مركز خدمة الأسطول الخامس الأميركي في المنامة. ٢٨ فبراير

وفى تشخيصه لمستقبل المنطقة.. يستبعد السفير الوصول لتوازن ردع قريب.. معتبراً أن الهدف الحقيقى هو إبقاء المنطقة فى حالة عدم استقرار أمنى وسياسى مستدام، وتعد القوة العسكرية الإسرائيلية هى الأداة التنفيذية لهذا التوجه، مدعومة بمساندة أمريكية شاملة سياسيا ودبلوماسيا وعسكريا بل وحتى إعلاميا...

هذه الرؤية تطرح سؤالا مقلقا.. إذا كان الهدف يتجاوز السلوك الإيرانى إلى إعادة تشكيل الإقليم.. فهل نحن أمام حرب لها نهاية؟ أم أمام مسار مفتوح يعاد فيه إنتاج الصراع بأشكال مختلفة دون توقف حقيقي؟

رغم هذا الطرح الحاد.. لا يزال هناك من يرى أن المسار لم يغلق بالكامل أمام الدبلوماسية، وأن لحظات التصعيد القصوى.. قد تكون أحيانا هى نفسها بوابة التفاوض..

وعلى وقع هذا الطموح الأمريكى لتغيير قواعد اللعبة.. يرى السفير معتز أحمدين خليل مندوب مصر الدائم لدى الأمم المتحدة سابقا أن المنطقة قد بلغت بالفعل ذروة التصعيد مع اندلاع المواجهة (الأمريكية الإسرائيلية) ضد إيران وما تلاها من ردود إيرانية طالت القواعد الأمريكية والبنى التحتية وصولا إلى إغلاق مضيق هرمز.. لكنه فى الوقت ذاته يفتح نافذة مغايرة للاحتمالات، مؤكدا أن فرصة الجهود الدبلوماسية لا تزال قائمة خاصة وأن واشنطن فوجئت بصلابة النظام وقدرته على الرد..

ويضيف السفير خليل أن هذا المشهد لا يمكن فصله عن استمرار العدوان الإسرائيلى على لبنان، وكذلك العدوان على فلسطين الذى لم يتوقف، بل يتفاقم فى الضفة الغربية كما هو الحال فى قطاع غزة.. ويؤكد أن ما ينقص لرفع مستوى المواجهة إلى مرحلة أخطر هو إقدام الولايات المتحدة على التوغل البرى داخل الأراضى الإيرانية..

ورغم هذا التصعيد يشير السفير إلى أن فرصة الجهود الدبلوماسية ما زالت قائمة، خاصة أنها تتم بناء على طلب وتكليف من الولايات المتحدة التى فوجئت بصلابة النظام الإيرانى وقدرته على الرد المؤثر إقليميا ودوليا وإن كان هذا الرد غير متكافئ نتيجة الاختلال الكبير فى ميزان القوى...

ومن جهة أخرى.. يرى أن من مصلحة إيران أيضا التوصل إلى وقف إطلاق نار أو هدنة مؤقتة تتيح لها التقاط أنفاسها وإعادة ترتيب أوضاعها بعدما لحق بها من دمار نتيجة القصف المتواصل من طرفى الصراع بوصفهما من أقوى القوى العسكرية فى المنطقة والعالم. وبناء عليه يخلص إلى أن المجال سيظل مفتوحا أمام التحركات الدبلوماسية للتوصل إلى فترات متقطعة من وقف إطلاق النار، وربما بلورة أطر تفاوضية ممتدة وإن كانت دون حسم نهائى فى ظل التباين العميق فى مواقف الأطراف...

ويؤكد السفير أن الحل الأمثل لوقف الحرب بصورة مستدامة وإعادة الاستقرار إلى المنطقة يتطلب معالجة شاملة لكل الملفات فى وقت واحد، وفى مقدمتها ملف إسرائيل وضرورة وقف العدوان الإسرائيلى المتواصل على دول المنطقة والذى يسمح لها - بحسب تعبيره - بضرب من تشاء وقتما تشاء وأينما تشاء وهو ما لا يمكن أن يستقيم مع أى تصور للاستقرار أو التعايش الطبيعي، لأنه يبقى حالة المقاومة قائمة كاستجابة طبيعية لهذا السلوك.

كما يشدد على ضرورة أن يشمل أى حل شامل إعادة تنظيم العلاقة بين إيران والدول العربية.. وخاصة دول الخليج، بما يتضمن التوصل إلى تفاهمات واضحة تقوم على التزامات متبادلة بعدم التدخل فى الشؤون الداخلية.. أو السعى إلى إسقاط الأنظمة، أو دعم أو تشجيع أى حركات تمرد..

ويصف السفير خليل هذا الإطار بأنه الحل الأمثل نظريا لإرساء الاستقرار فى المنطقة.. لكنه يقر فى الوقت نفسه بأن هذا الحل الجذرى لا يبدو مطروحا بشكل واقعى فى المرحلة الحالية، ويرجع ذلك من وجهة نظره إلى تمسك أطراف فى المعسكر الغربى بهدف تغيير النظام فى إيران، فى مقابل تمسك إيران بسياسة الرد الشامل انطلاقًا من قناعتها بأنها تواجه تهديدًا وجوديا..

وبناء على ذلك يتوقع السفير خليل استمرار ما يسميه إدارة الأزمة عبر التوصل إلى فترات متقطعة من وقف إطلاق النار قد تطول أو تقصر.. مع بقاء المنطقة فى حالة "لا سلم ولا حرب" على غرار فترات سابقة امتدت من يونيو ٢٠٢٥ إلى مارس ٢٠٢٦ تتخللها محاولات تصعيد جديدة أو تحركات تستهدف إسقاط النظام، يقابلها ردود إيرانية تتناسب مع حجم التهديدات، إلى أن تتبلور قناعة مشتركة بضرورة معالجة جذور الأزمة بدلا من الاكتفاء بإدارتها...

لكن حتى هذا السيناريو... لا يعدو كونه إدارة للأزمة لا حلا لها...وهو ما يعيد طرح المعضلة الأساسية.. هل يمكن تثبيت هدنة فى صراع لم تحل أسبابه أصلا؟

وإذا كانت الدبلوماسية لا تزال تتحرك، فإن السؤال لم يعد فقط عن قدرتها بل عن طبيعتها نفسها،

هل ما زلنا أمام دبلوماسية تقليدية... أم أمام شكل جديد تحكمه موازين القوة الصلبة؟

وإذا كانت إدارة الأزمة هى المسار المتاح حاليا.. فإن السفيرة منى عمر مساعد وزير الخارجية للشؤون الأفريقية الأسبق ترى أن ما نعيشه يتجاوز الصراع الميدانى واصفة المشهد بـ "الزلزال الذى يضرب أركان العمل العربى المشترك ومنطق القانون الدولي"..

تستهل السفيرة رؤيتها بالإشارة إلى أن الاعتداءات المتبادلة بين إيران من جهة، وإسرائيل والولايات المتحدة من جهة أخرى.. خلفت تداعيات مباشرة على "الوكلاء" الإقليميين.. فإضعاف جماعات مثل حزب الله والحوثيين قد يفتح من وجهة نظرها نافذة لإعادة الاستقرار فى تلك الدول لكنها ترهن ذلك بتوقف المجازر والاعتداءات الإسرائيلية خاصة فى جنوب لبنان والتى تعيد خلط الأوراق باستمرار.

وتضيف السفيرة عمر أن التصعيد الإيرانى الأخير أحدث شرخا عميقا فى العلاقات الإيرانية - الخليجية.. فبينما كانت المنطقة تحاول احتواء الخلافات التاريخية حول الجزر أو التوسع المذهبى جاءت الاعتداءات المباشرة لتنسف جو التضامن وتزيد من مشاعر الفرقة، ليس فقط مع دول الخليج بل مع عموم الدول العربية التى استنكرت هذا المسلك.

وعند سؤالها عن قدرة الدبلوماسية على احتواء هذا التصعيد ترسم السفيرة صورة قاتمة لمستقبل القانون الدولى مؤكدة: نحن أمام مرحلة لم يعد فيها أحد يحترم المبادئ أو القانون الدولى حيث بدأت كل دولة فى إعلاء مصلحتها الوطنية الصرفة فوق أى اعتبارات أخرى.. هذا التوجه سيؤدى بالضرورة إلى إضعاف النظام الدولى والنظام العربى بصفة خاصة، مما يفقد آليات مثل جامعة الدول العربية الكثير من أهميتها وتأثيرها فى المرحلة القادمة.

وتوضح السفيرة منى عمر أن الدبلوماسية نفسها لم تعد بمنأى عن منطق القوة فالتفاوض اليوم لم يعد نقاشا حول الحقوق بل أصبح انعكاسا لموازين القوى على الأرض، حيث يجبر الطرف الأضعف دائما على تقديم التنازلات الكبرى..أما عن نهاية الصراع فتميل السفيرة منى عمر إلى سيناريو المزيج المعقد، حيث تتوقع أن المنطقة مقبلة على إعادة تشكيل التوازنات.. بناء على فرض المصالح الوطنية لكل طرف بعيدا عن الشعارات القومية، ومرحلة من الفوضى الانتقالية.. خاصة فى الدول التى أصاب التدمير أنظمتها أو أضعف قواها الرئيسية.. ففى إيران يواجه النظام السياسى والاقتصادى ضغوطا داخلية وهيكلية حادة... أما فى لبنان فترى السفيرة أن انهيار حزب الله باعتباره كان قوة مؤثرة سيخلق فراغا يؤدى بالضرورة إلى حالة من الفوضى وظهور محاور قوى جديدة قبل أن تستقر الأمور فى نهاية المطاف على واقع مغاير تماما لما سبق.

ورغم هذا التفاؤل الحذر بالاستقرار بعيد المدى ترفض السفيرة فرضية تقسيم الدول العربية كحل حتمى مؤكدة أن دولا مثل مصر عصية تماما على مثل هذه السيناريوهات، وحتى فى حالة لبنان فإن الانقسام بين الشمال والجنوب لن ينهى فكرة لبنان الواحد.. بل قد يدفع الدولة فى النهاية نحو قدر من التماسك والوحدة بعد زوال مسببات الانقسام الحالي...

فى هذا السياق.. يبدو أن المنطقة لا تعيش فقط صراعا عسكريا، بل تحولا أعمق فى قواعد اللعبة ذاتها... حيث تتراجع المفاهيم القديمة لصالح واقع أكثر سيولة وأقل قابلية للتنبؤ..

غير أن الاكتفاء بقراءة الصراع داخل حدوده الإقليمية قد يكون مضللا، فالمشهد فى جوهره يتقاطع مع تحولات أوسع، تتجاوز الشرق الأوسط إلى بنية النظام الدولى نفسه.

هذا الزلزال الذى ضرب أركان المنطقة لا تتوقف ارتداداته عند الحدود العربية بل تمتد لتلامس موازين القوى العالمية، وهنا تنقلنا الدكتورة أمانى الطويل الباحثة بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية من الحسابات الإقليمية الضيقة إلى فضاء التنافس العالمى معتبرة أن ما يحدث فوق رمال الشرق الأوسط تحركه طموحات العواصم الكبرى.

ترى الدكتورة أمانى أن أهداف الحرب المرتبطة بإيران تتجاوز مجرد إعادة توزيع الأدوار إقليميا.. إذ تربطها بشكل مباشر بالصراع الدولى بين الولايات المتحدة من جهة وروسيا والصين من جهة أخرى، فالمستهدف الحقيقى حسب قراءتها هو السيطرة على الممرات البحرية ومنابع الطاقة، خاصة وأن إيران تمتلك ثالث أكبر احتياطى نفطى عالمى وتتحكم فى مضائق حيوية.

وتضيف الطويل أن التحرك الأمريكى وإن بدا ملبيا لطموحات إسرائيل القيادية فى المنطقة، إلا أنه يخدم استراتيجية واشنطن الكبرى فى محاصرة الصين.. عبر التحكم فى إمدادات الطاقة وتطويق مشروع الحزام والطريق الذى يراه الغرب مشروع هيمنة صيني. وكذلك خنق روسيا من الجنوب.. حيث أن إضعاف إيران سينعكس مباشرة على نفوذ موسكو فى محور بحر قزوين.. ويمنح واشنطن أوراق ضغط إضافية فى صراعها الوجودى مع روسيا.

وتحذر الدكتورة أمانى من تمدد هذا المشروع ليصل إلى القرن الأفريقى والبحر الأحمر.. حيث تسعى الاستراتيجية الأمريكية - الإسرائيلية إلى تطويق البحر الأحمر من جنوبه وشماله مما يضع الدول المشاطئة وعلى رأسها الدول العربية أمام تحديات حقيقية تمس وزنها الجيوسياسى وقدرتها على حماية مصالحها فى العمق الأفريقي.

وعن مستقبل هذا الصراع.. لا تتوقع الدكتورة أمانى احتواء سريعا، بل ترسم جدولا زمنيا يمتد لعقد من الزمان على أقل تقدير قائلة: نحن أمام حالة صراع ممتدة لعشر سنوات على الأقل.. حتى تتبلور ملامح الخرائط الجديدة.. ما نراه اليوم هو إزاحات جيوسياسية وتغيير فى الأوزان الإقليمية لكن الأثر الاستراتيجى الأعمق سيظهر لاحقا فى شكل الاستجابة الروسية والصينية لهذه التحركات.. فهما واعيان تماما أن الهدف النهائى هو تقويض نفوذهما العالمي..

بهذه القراءة لا تعود الحرب مجرد نزاع إقليمي... بل تتحول إلى ساحة اختبار لإعادة توزيع النفوذ عالميا... وهو ما يفسر لماذا تبدو نهايتها بعيدة أو مؤجلة.

بين كل هذه القراءات... لا يبدو أن هناك إجابة واحدة قاطعة، بل شبكة من الاحتمالات المتداخلة، كل منها يعكس زاوية من مشهد أكثر تعقيدا مما يبدو.

ربما لا تكون المشكلة فى أن هذه الحروب لا تنتهي، بل فى أنها لا تحسم... تترك خلفها واقعا هشا قابلا للاشتعال فى أى لحظة.

وكأن المنطقة لا تغادر الحرب، بل تغير شكلها فقط... وفى هذه المسافة بين نهاية مؤجلة وبداية مستمرة..

يظل السؤال مفتوحا.. هل ما نشهده الآن هو ذروة الصراع، أم مجرد فصل جديد منه؟

تحقيق: مادونا شوقي

المشهد
العدد 351 السنة الرابعة عشرة – الجمعة 1 مايو 2026 م– 14 ذو القعدة 1447 هـ

قالت العرب

أنت أقوى من نظام الطب! / أقوى من جهاز تنفسي!/ ولست محتاجا - لتقتلني - إلى مرضي!/ فكن أسمى من الحشرات! / كن من أنت كن قويا ، ناصعا ، / واخلع عنك أقنعة الثعالب!/ كن فروسيا، بهيا، كامل الضربات!

(محمود درويش)

## معايير غامضة .. ومن يطبخ قائمة الوزراء فى الغرف المغلقة مجهول

# وزراء "السمع والطاعة"..

## بين "جثث" أبو عيطة و"موظفي" الجلاد و"سكرتارية" الزاهد.. القصة الكاملة لدهس الكفاءة بقطار "أهل الثقة"

**فى كل مرة يعلن فيها عن تعديل وزاري.. تبدو العملية وكأنها إجراء إدارى منظم.. رئيس يكلف وحكومة تتشكل وبرلمان يمنح الثقة.. تتصدر السير الذاتية المشهد.. ويبدأ الحديث عن الكفاءة والخبرة والتطوير.. لكن خلف هذه الصورة الرسمية يظل سؤال أكثر حساسية حاضرا فى الهامش.. كيف صنعت هذه القائمة أصلا؟ من اقترح هذه الأسماء؟ من استبعد غيرها؟ وهل تمر الترشيحات بمراحل غير معلنة قبل أن تصل إلى قرار التكليف؟ النص الدستورى واضح.. لكن التجربة السياسية المصرية منذ ١٩٥٢ تكشف أن تشكيل الحكومات لم يكن يوما مجرد خطوة إجرائية، بل كان انعكاسا مباشرا لطبيعة السلطة وتوازناتها... فالحكومة ليست فقط فريقا إداريا بل أداة تنفيذ لخيارات سياسية كبرى.. تتغير بتغير المرحلة لكنها تظل محكومة بسؤال جوهري.. من يملك القرار النهائي؟**



اجتماع الوزراء بالرئيس



كمال أبو عيطة

**يفتح "الصندوق الأسود" لتشكيل الحكومات: نحن لا نختار وزراء بل "جثثا" تنفذ الأوامر.. والسلطة استبدلت "أهل الثقة" بـ "أهل السمع والطاعة"**



مجدى الجلاد:

**نحن فى زمن "كبير الموظفين".. والوزير لا يملك "إشارة خضراء" لاتخاذ قرار استراتيجى واحد**



مدحت الزاهد

**فى مواجهة "دولة التكنوقراط": الوزراء تحولوا لـ "سكرتارية تنفيذية".. والسياسات الاقتصادية تفخخ الواقع بـ "انفجارات اجتماعية" مؤجلة..**



نجاد البرعي:

**نظامنا السياسى هو "الأصدق" لأنه لا يخفى شيئاً.. والسلطة التنفيذية "وريثة القصر" فى الهيمنة على البرلمان والأحزاب**

ومنذ لحظة ١٩٥٢ حين ألغيت الملكية وبدأ مشروع بناء الدولة الجمهورية الحديثة لم يعد تشكيل الحكومة مسألة توازنات برلمانية تقليدية كما كان فى العهد الليبرالي.. بل أصبح جزءا من إعادة صياغة مركز السلطة ذاته.. صعدت الدولة المركزية بقوة وتراجع دور الأحزاب.. وأصبح الوزير جزءا من مشروع سياسى يقوده رأس السلطة مباشرة فى إطار تصور أوسع لدولة تتولى قيادة الاقتصاد والمجتمع معا...

فى الستينيات كان الوزير جزءا من مشروع أيديولوجى واضح المعالم.. فى السبعينيات دخل الاقتصاد بقوة إلى معادلة الاختيار.. فى عهد مبارك تعقد المشهد بين حسابات الحزب والأمن ورجال الأعمال.. وبعد ٢٠١٣ عادت مركزية القرار بقوة مع صعود وزراء ذوى خلفيات تنفيذية وتكنوقراطية فى ظل أولوية أمنية معلنة..

**لكن هل تغيرت المعايير فعلا؟**

**هل أصبحت الكفاءة وحدها كافية للوصول إلى مقعد الوزارة؟**

**أم أن الانسجام مع توجه الدولة ظل شرطا ثابتا عبر المراحل المختلفة وإن تغيرت صياغته؟**

هذا التحقيق لا ينشغل بأسماء بعينها بقدر ما ينشغل بالقواعد غير المكتوبة التى تحكم الاختيار نفسه.. كيف تمر الأسماء داخل مؤسسات الدولة؟ هل تخضع لتقييمات أمنية؟ ما حدود الدور الحزبي؟ أين يقف البرلمان بين النص الدستورى والواقع العملي؟ ومتى تتحول الإقالة من إجراء إدارى إلى رسالة سياسية؟

بين الكفاءة والولاء.. بين الثقة والانضباط وبين الطموح الفردى وحدود النظام .. نحاول الاقتراب من واحدة من أكثر المناطق غموضا فى السياسة المصرية.. غرف صناعة الوزراء..

هل تبدلت القواعد عبر العقود؟ أم تبدلت فقط الوجوه، بينما ظلت المعادلة الأساسية ثابتة؟

**(أبو عيطة: عصر الوزراء "الجثث")**

من مقعد "الوزير الذى استقال" ومن خندق "المناضل الذى لم يتلون" .. يقدم كمال أبو عيطة شهادة للتاريخ حول كواليس إدارة الدولة المصرية.. يرى أبو عيطة أن مصر انتقلت من زمن "الوزراء العظام" الذين بنوا الدولة بتكليف من "الأغلبية"، إلى زمن "الموظفين" الذين يديرون مصالح "الأقلية" من كبار رجال الأعمال، محذراً من أن "الانفجار القادم" لن توقفه الحلول الأمنية..

عصر العمالقة مقابل عصر "الجثث السياسية".. يقارن أبو عيطة بين معايير الاختيار فى عهد عبد الناصر والوضع الحالي.. قائلاً: "قديما كانت الكفاءة والخبرة هى المعيار وشهدنا وزراء شبابا فى الثلاثينيات مثل ( محمود فوزى ونورالدين طراف و ثروت عكاشة و فؤاد مرسى و اسماعيل صبرى عبدالله و محمد حسن الزيات وكمال رمزى استينو وعبدالمنعم القيسونى و لبيب شقير و محمد فايق و الشيخ شلتوت وعزيز صدقى والنبوى المهندس وعائشة راتب) .. لم يكونوا أقارب للسلطة بل كانوا نتاج قاعدة بيانات وطنية وانحياز كامل للأغلبية الكادحة... أما اليوم، فقد أدارت السلطة ظهرها للشعب وانحازت فقط للمستثمرين وأصحاب الثروات.. فأصبح المعيار هو اختيار من يحمى مصالح هذه الطبقة على حساب التصنيع والإنتاج.."

**شهادة من الداخل: "كنت منفذا لا شريكا"**

يكشف أبو عيطة لأول مرة عن كواليس دخوله وخروجه من السلطة، مؤكدا أنه لم يسع للمنصب يوما: "رفضت عرضاً بالوزارة فى أعقاب ثورة يناير لأن رئيس الحكومة وقتها (الفريق شفيق) كان أحد أعمدة نظام مبارك. وبعد ٣٠ يونيو، قبلت المهمة كـ 'تطعيم' وطنى للمجلس، لكن قيل لى بوضوح: (أنت اللى هتعمل الكلام ده وتنفذه).. وعندما حاولت التنفيذ، واجهت إعاقات هائلة، ومع ذلك انتزعت الحد الأدنى والأقصى للأجور.. انتزاعا من مجلس الوزراء.. قدمت استقالتى فور إتمام الملفات الكبرى لكنها رفضت فى وقتها.. والحقيقة أن التعديلات اللاحقة أطاحت بكل من له صلة بالثورات، وأصبح المجلس خالياً من أى روح تنتمى لـ ٢٣ يوليو أو ٢٥ يناير أو ٣٠ يونيو."..

قاعدة "اكتب ما يملى عليك.. قتل الإبداع والقرار.

يوصف أبو عيطة مهام الوزير الحالى بجملة واحدة قاسية: "المعادلة الآن هى (الالتزام بقاعدة اكتب ما يملى عليك).. فالوزير اليوم لا يملك حتى سلطة نقل موظف من مكتبه.. وغير مسموح له أن يستخدم علمه أو خبرته إذا تعارضت مع الأوامر الصادرة إليه.. نحن أمام "جثث" تجلس على مقاعد المسؤولية.. تتحرك وتغادر بالأمر، وهو ما يقتل أى إمكانية للإبداع أو التطور فى هذا البلد..

ثورات تم الغدر بها.. ومن يمثلها "خلف القضبان"..

يتحدث أبو عيطة بمرارة عن مصير المنتمين لثورتى ٢٥ يناير و٣٠ يونيو داخل تشكيل الحكومات: "فى البداية، كان هناك تطعيم للمجالس الوزارية بعناصر وطنية مشهود لها، لكن سرعان ما تمت الإطاحة بكل من له علاقة بالثورة. أصبح المجلس الآن خاليا من أى روح تنتمى لـ ١٩ أو ٥٢ أو يناير أو يونيو.. بل وصل الأمر لاعتبار هذه الثورات جرائم يحبس منتموها، ويهان فيها أهالى الشهداء والمصابين فى مكاتب الموظفين العموميين...

**فضيحة "الشهادات المضروبة" وغياب المعايير**

وحول أزمة وزير التربية والتعليم.. يقول أبو عيطة: حين يثبت بالمستندات فى المحاكم أن وزير التربية والتعليم لا يحمل مؤهلات من الجامعات التى ادعى الانتماء إليها، ثم يبقى فى منصبه.. فهذه رسالة كارثية للأجيال بأن (الشهادة المضروبة) هى طريق الوصول.. الاهتمام الآن ليس بالسمعة الطيبة أو البراءة بل بالولاء الأعمى، حتى لو كان الوزير مدانا بأحكام قضائية...

**الاقتصاد والديون: تصفية لمقدرات الشعب**

يسجل أبو عيطة اعتراضه الصارخ على السياسات المالية.. سياسات الاقتراض المتوحشة تلتهم بنود الأجور والدعم والاستثمار لسداد خدمة الدين.. ما يحدث هو مسلسل تصفية لبيع مقدرات الشعب التى بنيناها بعرق السنين، مثل 'الحديد والصلب' الذى وصف بأنه (ما يسواش تلاتة تعريفة) بينما بيعت خردته بمليارات.. هذه السياسات لن تتغير برحيل 'مدبولي' وجماعته ما دامت الفلسفة واحدة..

يختتم أبو عيطة حديثه بصرخة تحذير من الاعتماد الكلى على المؤسسة الأمنية: الغياب الكلى للسياسة والاعتماد المفرط على الأمن سيؤدى حتما إلى نتائج تشبه ٢٥ يناير و٣٠ يونيو، لكنها هذه المرة ستكون أشد وأعنف.. الناس وصلت لآخرها والمنهج الأمنى فى حبس أصحاب الرأى لن يجدى نفعا أمام الانفجارات الاجتماعية المتوقعة.. الناس هى الدولة، والسلطة الحالية تحكم باسم الأقلية فقط...

**(مجدى الجلاد : ضياع هوية الوزير)**

يضع الكاتب الصحفى مجدى الجلاد يده على الجروح الغائرة فى جسد الإدارة المصرية... بوضوح لا ينقصه الدهاء الصحفى يفرق الجلاد بين "رفاق" ناصر.. و"تكنوقراط" السيسي.. كاشفا عن تحول منصب الوزير من "رجل دولة" يملك وعيا وخيالا سياسيا.. إلى "منفذ" ينتظر الإشارة الخضراء فى مشهد تسيطر عليه "الهندسة السياسية"..

يستهل الجلاد حديثه بتشخيص الفارق الجوهرى بين الحقب الماضية والآن.. مؤكدا أن معايير الاختيار فى العقد الأخير أصبحت "أكثر سلاسة" لكنها أقل وزنا.. ويقول: اذا كان جمال عبد الناصر قد اختار وزراءه من دائرة رفاق حركة يوليو والضباط الأحرار.. فإن هذا النموذج (الوزير الشريك) لم يتحقق إلا فى عهده فقط.. اليوم، نحن أمام تحول جذرى فالوزير لم يعد شريكا ولا حتى سياسيا خرج من ماكينة الحركة الوطنية.. بل هو (أداة تنفيذ) لاستراتيجيات توضع وتخطط فى مؤسسات أخرى بالدولة.. باختصار، نحن أمام نموذج يقترب من فكرة (كبير موظفى الوزارة)"...

**سيكولوجية الانصياع**

حول دور التقارير السيادية وتغير عقيدة الاختيار يوضح الجلاد أن الانصياع فى عهد ناصر كان ناتجا عن "إيمان بالمشروع"، أما الآن فالمعيار هو القدرة على التنفيذ الصامت: قديما كان التوافق الأيديولوجى مع الزعيم هو المعيار.. لذا كان الوزير (ثقيلا) بمشروعه.. الآن، لا يشترط أن يكون الوزير سياسيا.. بل يبحث عن (المنفذ الجيد) الذى لا يتجاوز حدود تسيير العمل اليومي.. أما تقارير الأجهزة السيادية فهى تظل (الكلمة الفصل) والمؤثرة لدى متخذ القرار.. لأنها تملك ملفات لا تظهر على السطح، والدولة ترى فى هذه التقارير ضمانة أساسية قبل منح المناصب الرفيعة..

**مطبخ الحكومة.. "رايحة جاية"!!**

يكشف الجلاد عن كواليس صناعة القائمة الوزارية الأخيرة، نافيا أن يكون رئيس الوزراء مجرد متلق للتعليمات بل هو طرف فى معادلة معقدة: معلوماتى أن الدكتور مصطفى مدبولى هو من رشح بعض الأسماء فى التشكيل الأخير.. لكنها ليست قائمة نهائية يضعها وحده.. هناك توازنات ومواءمات.. بعض المقاعد ترشحها المؤسسات السيادية، وبعضها يطرحه رئيس الوزراء.. وقد يتدخل رأس السلطة التنفيذية بوجهة نظر مختلفة.. المسألة تشهد مناقشات وأحيانا (أزمات تحتية) واختلافا فى وجهات النظر حول الأسماء، لكن الجميع يدرك فى النهاية مقام رئاسة الدولة فى حسم القرار..

**لغز "الوزير المرتعش"..**

وعن مصطلحه الشهير "الوزير المرتعش".. يغوص الجلاد فى جذور الشخصية المصرية ليؤكد أن الأمر أعمق من مجرد "تعليمات أمنية": الارتعاش ليس حكرا على مرحلة بعينها، بل هو (ميراث طويل) من الدولة العميقة التى تعطى نموذجا للحاكم الفرد منذ فجر التاريخ... سلطة وقدسية من يجلس على كرسى الحكم مرعبة لأى وزير .. الوزير اليوم لا يملك اتخاذ قرار استراتيجى يؤثر على الدولة دون (إشارة خضراء).. وهذا الخوف هو جينات متوارثة، إلا لمن كان (زاهدا) بطبعه مثل منصور عيسوي، أو (مقربا) من القيادة مثل سيد مرعى مع السادات"...

ويفسر الجلاد عزوف القامات الكبرى عن قبول الوزارة بثلاثة أسباب رئيسية، أخطرها "تجريد المنصب من هيبته": الكثير من الشخصيات قالت لى بوضوح (لا أريد أن أكون منفذا يؤمر وينهى، أنا عندى وجهة نظر)... المنصب فقد الكثير من قوته وقدره خلال العقود الأخيرة، وتحديدا منذ منتصف فترة مبارك.. الوزير (رجل الدولة) الذى يتمتع بكاريزما وثقافة وخلفية سياسية وبرلمانية قوية تراجع لصالح تكنوقراط يفتقدون للوعى السياسي، حتى أصبحنا نرى وزراء يأتون ويرحلون دون أن يعرف الشارع أسماءهم"...

**"الهندسة السياسية".. وتجريف البدائل**

فى ختام حديثه، يربط الجلاد بين ضعف الوزراء وغياب الحياة السياسية.. واصفا ما يحدث بـ "الهندسة السياسية": مصر تفتقد (الوزير السياسي) لأنها تعانى من جفاف سياسى وجيوب معارضة مصطنعة.. البرلمانات السابقة رغم تبعيتها للدولة، كانت تضم أصواتا معارضة ثقيلة تزعج الأغلبية وتفرز كوادر حقيقية.. الآن، كل شيء (مهندَس)، لذا لا نجد أمثال البدرى فرغلى أو أبو العز الحريرى أو ممتاز نصار النائب المعارض الفذ.. غياب المعارضة الحقيقية والعمل الحزبى النشط هو ما جعل الدولة لا تجد بديلا سوى الاعتماد على الخلفيات التنفيذية الجافة"..

يؤكد مجدى الجلاد أن "غرفة صناعة الوزير" انتقلت من مرحلة "بناء المشروع" إلى مرحلة "إدارة التنفيذ"، وأن أزمة مصر ليست فى "ندرة الكفاءات"، بل فى "نظام اختيار" يفضل (المنفذ المطيع) على (السياسى المبتكر)، تحت وطأة تاريخ طويل من مركزية السلطة التى لا تسمح بوجود "رأس ثان" بجوار رأس الدولة..

**(مدحت الزاهد: ولاء أمنى على حساب الكفاءة)**

فى قراءة مغايرة للمشهد السياسى المصري، يضع مدحت الزاهد، رئيس حزب التحالف الشعبى الاشتراكي، النقاط على الحروف فيما يخص آليات تشكيل الحكومات المتعاقبة.. يرى الزاهد أن الأزمة ليست فى "الوجوه" بل فى "الفلسفة"، حيث تحول منصب الوزير من "رجل رؤية وسياسة" إلى "منفذ للتعليمات"، وسط غياب تام للتعددية وسيطرة لمعايير الولاء الأمنى على حساب الكفاءة الفنية والسياسية...

ينتقد الزاهد بشدة تحول الوزراء إلى ما يشبه "السكرتارية"، مؤكداً أن المعيار الأول أصبح "أهل الثقة" لا "أهل الخبرة".. "لقد وصلنا إلى مرحلة يتباهى فيها الوزير بأنه لا يفقه فى السياسة شيئاً، وكأن العمل الحزبى تهمة، بينما الحقيقة أن الوزير دون رؤية سياسية هو مجرد موظف إجرائى . الوزير ليس مطلوباً منه أن يكون جراحاً ليدير وزارة الصحة، بل أن يدرك أن الصحة حق للمواطن وليست قطاعاً ربحياً، وأن توسيع مظلة التأمين الصحى أهم من أرقام الأرباح والخصخصة...

**الفلترة الأمنية وتجريف الكفاءات**

حول دور الأجهزة فى اختيار التشكيل الوزاري، يرى الزاهد أن الاعتماد المفرط على التقارير الأمنية أدى لنتائج عكسية..

"الاختيار القائم على تقارير الأجهزة الأمنية يبحث دائماً عن 'المهذبين' الذين لا يملكون صوتاً معارضاً أو رأياً مستقلاً.. والنتيجة؟ نظام مغلق يشجع على السمع والطاعة لا بلورة البدائل.. بل والمفارقة أن هذه الفلترة الأمنية فشلت أحياناً فى كشف فساد أو تزوير شهادات لبعض المسؤولين، لأن التركيز كان على 'الموالاة' لا 'النزاهة والقدرة.'"

غياب الرقابة وتحول البرلمان لـ "محلل تشريعي"

وعن دور مجلس النواب فى منح الثقة، يصفه الزاهد بالشكلاني: "فى ظل النظام الحصري.. يتراجع الدور الرقابى للبرلمان لصالح الدور التشريعى المساند للحكومة.. لا نرى استجوابات حقيقية أو سحب ثقة.. بل نرى برلماناً يمرر تشريعات وقوانين إجرائية جنائية، أحياناً ما تكون ضد مصلحة المواطن، ويتنازل عن سلطته فى رقابة القروض والمعاهدات الدولية.."

ينتقل الزاهد إلى الملف الاقتصادي، محذراً من سياسات الاقتراض وبيع الأصول: "ما يحدث ليس إصلاحاً بل تصفية لمقدرات الدولة.. بيع الأصول الإنتاجية والتلويح ببيع أصول استراتيجية كقناة السويس هو رهن للإرادة الوطنية.. نحن نبيع مصانع بنيت بدم الشعب برخص التراب، ونفتح الباب لمؤسسات التمويل الدولية لتساهم فى صنع قرارنا الداخلى عبر 'مستعمرات اقتصادية' تحت مسمى الاستثمار.."

تراكم الغضب ومخاطر الانفجار..

يختتم الزاهد رؤيته بتحذير شديد اللهجة من مآلات سد منافذ التعبير.. "نحن نعيش حالة توتر اجتماعى مكتوم، والبديل عن التعددية والحوار هو الانفجار.. عندما تهدر الموارد فى مشاريع ليست ذات أولوية مثل 'المونوريل' أو العاصمة الإدارية على حساب التعليم والصحة، ويحاصر الناس بالرسوم والضرائب، يتراكم مخزون غضب لا يمكن التنبؤ بلحظة انفجاره.. الاستقرار الحقيقى يتطلب تغيير 'السياسات' لا مجرد 'الأشخاص'..

تظل رؤية الزاهد بمثابة جرس إنذار، تضع الحكومة أمام تساؤلات مشروعة: هل يمكن لدولة أن تنهض بجهاز إدارى يفرغ المنصب الوزارى من محتواه السياسي؟ وهل يتحمل الواقع الاجتماعى مزيداً من سياسات "الجباية" فى مقابل تراجع الخدمات الأساسية؟

**نجاد البرعي: أدوار شكلية**

يقول نجاد البرعي.. المحامى والمتخصص فى القضايا الدستورية حول آليات اختيار الوزراء وطبيعة النظام السياسي:

من الناحية الدستورية، يمتلك رئيس الجمهورية فى مصر حق اختيار رئيس مجلس الوزراء، بينما يقوم رئيس مجلس الوزراء عمليا بانتقاء الوزراء ثم يطرح التشكيل على الرئيس للتشاور والموافقة.. إذا أقر الرئيس التشكيل، يرسل إلى البرلمان لمنح الثقة... وفى حال الاعتراض، يعاد التشكيل مرة أخرى مع رئيس وزراء آخر، وتتكرر الدورة نفسها حتى يتم التوافق....

وعن الفجوة بين النص الدستورى والواقع العملى فى تشكيل الحكومة، يرى البرعى أنه "من ناحية الشكل، لا. فالرئيس يختار.

مثال على ذلك مصطفى مدبولي، كرئيس للوزارة عرض عليه التشكيل، تشاوروا فيه، اتفقوا عليه، وأرسلوا للبرلمان الذى وافق عليه تماما"..

وبخصوص دور البرلمان فى منح الثقة للوزارة، يقول البرعي: "البرلمان ميقدرش يعمل دور رقابى حقيقي، يقدر يعمل دور شكلى فقط.. يوافق على التشكيل ويوافق على القوانين المقدمة من الحكومة.. الشكل مضبوط وموجود، لكن المضمون واضح ومفهوم"...

البرلمان ليس صوت الشعب!

وعن الشفافية فى عملية ترشيح الوزراء، يشير البرعى إلى أن الأمر يخضع للبرلمان المفترض أن يكون منصة للمناقشة الحقيقية، ويضيف: "البرلمان صوت الشعب، والمفروض يكون لديه الشفافية، لكنه عمليا ليس كذلك"...

وحول وجود معايير غير مكتوبة كالأمنية أو السياسية، يؤكد البرعي: "أنا ما عرفش أيه معايير اختيار، أحترم أى معايير أمنية إذا وجدت، لكن من وجهة نظرى لا توجد معايير حقيقية مطبقة"...

وعن معايير إقالة الوزراء، أوضح البرعي: "يمكن للبرلمان القيام باستجواب يؤدى إلى استقالة الوزير، أو يمكن للوزير التقدم باستقالته، أو يطلب رئيس الوزراء الإقالة، فيمشي"..

وفى سياق تطوير آلية تشكيل الحكومات منذ دستور ١٩٧١ وحتى دستور ٢٠١٤، يرى البرعى أن السلطة التنفيذية كانت دائما قوية، سواء فى عهد الملك أو بعد الثورة، مضيفا أن البرلمان لم يكن له كلمة عليا فى مصر، وأن التغيير الحقيقى لا يمكن أن يحدث عبر تعديل جزء من النظام فقط، بل يتطلب تعديل طريقة عمل النظام كله كمجموعة مترابطة...

وعن دور الأحزاب فى تعديل معادلة اختيار الوزراء، يرى البرعى أن النظام السياسى "مترتب على بعضه مثل بازل، لا يمكنك تحسين جزء لتغيير الصورة، يجب تغيير طريقة عمل النظام كله"... ويؤكد أن تعزيز دور الأحزاب أو منظمات المجتمع المدنى وحده لا يكفى فى ظل قبضة أمنية قوية وإعلام مقيد وقضاء غير قادر على الفعل.

يضيف البرعي، متحدثا عن تاريخ النظام السياسي: "حتى قبل ثورة ٢٣ يوليو، السلطة التنفيذية كانت هى القوية، الملك هو نفسه بقى رئيس الدولة لاحقا، سواء عبد الناصر أو السادات أو مبارك أو السيسي... القصر كان ينشئ أحزابا لضمان السيطرة على البرلمانات.. المشهد العام ثابت، الصحافة محكومة منذ القدم، والحرية محدودة، والحكومة تتحرك حسب ما يقرر السلطة التنفيذية"...

وعن طبيعة النظام الحالي، يؤكد نجاد البرعي: "نحن فى نظام سياسى واضح.. النظام واضح قواعده وطريقة شغله، مش مغلق، لا يفعل شيئا فى السر، و هذا نظام سياسى صادق لأنه يقول ما يفعله علنا.. وأصدق نظام سياسى لأنه ينفذ ما يعلنه"..

وعلى الجانب الآخر، تصر الدوائر الرسمية فى ت صريحاتها المتكررة على أن معايير اختيار الوزراء تخضع لتقييمات دقيقة ومعايير احترافية فى الإدارة.. مؤكدة أن "الكفاءة" والقدرة على "الإنجاز السريع" هى المحرك الأول للتشكيلات الحكومية، بعيدا عن أى حسابات أخرى.. بهدف التعامل مع التحديات الراهنة وتلبية احتياجات المواطنين...

**خاتمة**

فى نهاية المطاف.. يبدو أن غرفة صناعة الوزراء فى مصر لم تعد معنية بتقديم حلول بقدر ما هى معنية بضمان الولاء المطلق.. فبينما يرى مدحت الزاهد أننا أمام "سكرتارية تنفيذية" تفتقر للرؤية السياسية، ويجزم كمال أبو عيطة بمرارة أننا نستبدل الكفاءات بـ "جثث" تنتظر الأوامر، يغوص مجدى الجلاد فى عمق الأزمة كاشفا عن "ميراث الخوف" الذى حول الوزير إلى "كبير موظفين" يسكنه رعب تاريخى من اتخاذ قرار استراتيجى دون "إشارة خضراء"...

ويأتى تحليل نجاد البرعى ليضعنا أمام الحقيقة الأكثر واقعية.. أننا أمام نظام صادق فى وضوحه، لا يدعى ما لا يفعل.. بل يمارس سلطته التنفيذية كقوة مهيمنة تاريخيا على البرلمان والأحزاب.. فى مشهد يراه البرعى ثابتا لم يتغير منذ عهد الملكية وحتى اليوم..

وهنا يبرز السؤال الذى يفرض نفسه علينا جميعا.. إلى متى يمكن لسياسة "اكتب ما يملى عليك" أن تصمد أمام أزمات اقتصادية طاحنة تنهش فى أجساد الأغلبية؟ وهل تدرك السلطة أن تجريف السياسة لصالح الامن.. وتحويل الوزارات إلى مكاتب تنفيذية هو فى الحقيقة عملية تفكيك للدولة من الداخل قبل أن يكون تهميشا للمعارضة؟

التاريخ المصرى القريب والبعيد يخبرنا أن "الانسداد السياسي" وتجاهل أنين الشارع لم يؤديا يوما إلى استقرار مستدام.. بل كانا دائما التمهيد لـ "زلزال" لا أحد يعرف توقيته... الأزمة ليست فى أسماء ترحل وأسماء تأتي.. الأزمة فى عقيدة الاختيار التى ما زالت ترى فى أهل الخبرة "عبئا" وفى أهل الثقة "ملاذا"...

لقد كشف لنا هذا التحقيق أن الطريق إلى "غرفة القرار" لا يمر عبر صناديق الاقتراع أو معامل الأبحاث.. بل عبر ممرات أمنية ضيقة.. فهل ننتظر حتى يحدث الانفجار لندرك أن الدولة القوية لا تبنى بـ المنفذين المطيعين الذين يسمعون الكلام، بل بـ المستقلين الذين يملكون جرأة قول: "لا.. هذا القرار يضر بمصلحة الشعب؟"!



حلف اليمين

تحقيق – مادونا شوقى

قالت العرب

طالَتْ نَوَىً وَ بَكَى من شَوْقه الوَتَرُ / خُذني بِعَينَيكَ وَاهْرُبْ أيُّها القَمَرُ / لم يَبقَ في الليل إلا الصَّوتُ مُرتَعِشاً / إلا الحَمَائِمُ، إلا الضَائِعُ الزَّهَرُ / لي فيكَ يا بَرَدَى عَهْدٌ أعيشُ بهِ / عُمَري، وَيَسرِقُني مِن حُبّهِ العُمُرُ

«سعيد عقل»



قالت العرب

قد غبتُ عَنهمْ وما لي بالغياب يَدٌ / أنا الجَنَاحُ الذي يَلهو به السَّفَرُ / يا طيِّبَ القَلب، يا قلبي تَحمَّلُني / هُمَ الأحبَّة إنْ غابوا وإنْ حَضروا / شآمُ يا ابنةَ ماضٍ حاضرٍ أبداً / كأنّكِ السَّيفُ مَجدَ القولِ يَختَصِرُ / حَمَلتِ دُنيا على كفَّيكِ فالتَفَتَتْ / إليكِ دُنيا، وأغضَى دُونَكِ القَدَرُ

«سعيد عقل»

ذاكرة الصحافة

## مقال صلاح عيسى الذى غضب منه الكاتب الراحل محمد حسنين هيكل

# تراجيديا الفرعون والكاهن

**لا بد أن مؤرخى الأجيال القادمة سيحتارون طويلا إذا ما عَنّ لأحدهم أن يقيم الأدوار التى لعبها «محمد حسنين هيكل» على مسرح الصحافة والسياسة المصرية والعربية.. إذ المؤكد أنهم سيضلون الطريق إلى «هيكل» بين جبال من التفاصيل وتلال من الأكاذيب، ومتاهات من أدوات المكياج.**

**ومشكلة البحث عن «هيكل» أن فصل الذروة فى عمره، كان مضيئا بشكل يعمى عن الرؤية.. ففى تلك السنوات الثمانى عشرة التى انتهت فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ - كان هيكل ملء السمع والبصر، لا يغادر الخشبة، ولا تخطئه أعين المتفرجين.. لا تكف تليفونات مكتبه عن الرنين، ولا تخلو غرفة سكرتيرته الشهيرة «نوال المحلاوي» من الزائرين: ملوك ورؤساء جمهوريات وساسة ووزراء ومناضلين وسفراء وكتاب ومفكرين وطالبى حاجات ينتظر بعضهم بالساعات، بلا ملل ولا شكوى بل ويمتنعون باختيارهم عن التدخين؛ لأنه يضايق «نوال المحلاوي».**

كان باختصار تحت كل أضواء الدنيا، كما يليق برجل كان يوصف - آنذاك - بأنه أقوى رجل فى مصر بل فى الشرق الأوسط. ولعل الوهج الزائد عن الحد، الذى كان يشع منه وحوله، فى تلك السنوات العجيبة - هو الذى جعل أكثر الفصول إضاءة فى عمره، أكثرها غموضا وأحفلها بالظلال ومناطق العتمة.

### كواليس هيكل

وليست أصول صنعة التاريخ هى وحدها التى ستفرض على هؤلاء المؤرخين المساكين العودة إلى الفصل التمهيدى الذى سبق دخول «هيكل» إلى خشبة المسرح فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وهو فصل استغرق عشر سنوات بدأت فى عام ١٩٤٢، كان «هيكل» خلالها مجرد صحفى بين صحفيين استهل حياته الصحفية وهو فى التاسعة عشرة محررا عسكريا فى «الإجبشيان جازيت»، ثم انتقل منها بعد عامين ليعمل فى آخر ساعة. وبعد عامين آخرين وفى عام ١٩٤٦ يشترى أولاد أمين - التوأمان «علي» و«مصطفى» المجلة من أستاذهم محمد التابعى فينتقل الثلاثة التابعى وآخر تلامذته هيكل والمجلة إلى دار أخبار اليوم وهناك يستقر هيكل صحفيا بين صحفيين لا هو أشهرهم ولا هو أخملهم، لكنه كان بالقطع أذكاهم!

تلك عودة لا مفر منها للماضى سيقود المؤرخين إليها فضلا عن أصول الصنعة الأمل فى العثور على قبس من نور يضيء عتامة أحداث سنوات الذروة، وهو أمل لا بد أن يقود هؤلاء المؤرخين التعساء إلى فصل الختام الذى انطفأت بعده أضواء المسرح، وأنوار الصالة ولم يبق سوى تصفيق بعض المتفرجين، وصفير الآخرين وصمت الأغلبية التى عودتها المحن أن تداوى بالنسيان كل الجراح!

### صداقة الكاهن مع الفرعون الشجيع

ومن سوء حظ هؤلاء المؤرخين أن حظ هيكل قد دفعه إلى المسرح ليلعب البطولتين الأولى والثانية، فى مسرحية واحدة، تنتمى لزمن واحد فكان «الجان بريمييه» فى الصحافة «وصديق الشجيع» فى السياسة.

وما إن أسدل الستار على المسرحية، حتى اختلف الناس على الزمن ذاته. فقال الكارهون وطالبو الدم شائنين: هذا زمن الرعب النقى والقهر المصفى، وقال الوالهون غراما: بل زمن العظمة التى لم تلد ولم تولد.. وفى ضجيج المناظرة ضاعت أصوات خافتة، اغتصب أصحابها نصف ابتسامة.. وذرفوا الدمع من عين واحدة، وقالوا:

- إنه زمن عبد الناصر، آخر الفراعنة الأفذاذ، ذلك الذى كان عظيم المجد والأخطاء، وليس «هيكل» سوى كاهن تعس الحظ، مات فرعونه قبل الأوان، وتركه وحيدا بين جدران المعبد، وقد انفض المرنمون وهرب المصلون، وتغير اتجاه طوابير الذين جاءوا يوفون بالنذور، ولم يبق سوى الكاهن الأعظم يطلق البخور، ويتلو التعاويذ، وينشر الوثائق، ويعد أسانيد الدفاع.. فسبحان الذى بيده الملك، يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير!

وهكذا يتعقد الطريق إلى هيكل وتكثر فخاخه، وتتداخل الحدود بين معالمه وعوالمه.. مع أن هيكل كظاهرة تاريخية، ليس أكثر من تنويع على ثنائية مصرية شهيرة وكثيرة التكرار - هى ثنائية الفرعون والكاهن فهكذا كان حظنا، أو هكذا كانت عبقرية المكان الذى نحتله على خريطة الدنيا أن يحكمنا دائما فرعون قد يأتى فيملؤها عدلا ونورا أو يأتى فيملؤها ظلما وجورا، لكنه فى كل الأحوال معبود بقوة القهر أو قوة الحب أو قوة النهر الذى فرض علينا دائما أن نخضع لقوة مركزية جبارة.. تحفظ الاستقرار وتنظم تدفق المياه فى ملايين من قنوات الرى التى تخرج منه، حتى لا يجتاحنا الفيضان أو يقتلنا الجفاف، لذلك كان منطقيا ألا يستغنى الفرعون عن كاهن يعطى الروح لقوة القهر وقوة الحب، ويبشر ويفسر ويزين ويدافع ويهاجم ويحشد المصلين فى بهو المعبد.

وهكذا كان عبد الله النديم كاهن أحمد عرابى وترجمانه إلى قلوب الناس وكان بسيطا كزعيمه، ومخلصا وسيئ الحظ مثله!

وكان عباس العقاد هو الكاتب الجبار للزعيم الجبار سعد زغلول يدافع عنه، ويشن الغارات على أعدائه، ويطلق نيران قلمه الجبار عليهم فتتناثر جثثهم على صفحات الصحف.

وكان محمد التابعى هو صحفى مصطفى النحاس حارب إلى جواره بالمانشيت والخبر والمقال القصير والتعليق الساخر! وكان هيكل كما قال هو نفسه آخر تلامذة محمد التابعي.

### هيكل فى مدرسة التابعي

وخلال السنوات التى قضاها مع التابعى ثم مع أولاد أمين كان يراقب بذكائه المشع قوانين لعبة الفرعون والكاهن يدرسها عن قرب، ويحللها بعمق ويحفظها ظهرا عن قلب، وكان محمد التابعى قد لقن تلامذته أن الصحفى يمكن أن يكون صاحب جلالة حقيقية، وملكا يملك ويحكم دون أن يغادر مقعد رئيس التحرير؛ لأن الصحافة صاحبة جلالة فعلية.

فطالما أن الفرعون لا يستغنى عن الكاهن، ولا يعيش دونه، فمن واجب الصحفى أن يرتقى بمهمته ومهنته من مجرد نشر الأخبار إلى المشاركة فى صنعها، ومن حقه أن يكون طرفا فى تخليق الحدث، الذى ستقع على عاتقه مهمة تزيينه أمام الناس، أو تفسيره لهم، وذلك ما كان يفعله التابعى المعجباني، المفتون بذاته، الذى يعرف قيمة وتأثير وسحر كهانته، فكان يشارك فى تشكيل الوزارات وفى حل الأزمات وفى تدبير الانقلابات.

وحين انتقل هيكل إلى أخبار اليوم وعرف صاحبيها على ومصطفى أمين وجد نفسه قريبا إلى الجيل السابق عليه من تلامذة «التابعي»، وعاين عن قرب عالم الكهانة. وعرف صورة منها فى فتوتها.. فقد كان «أولاد أمين» هم نجوم ذلك الزمن. كان على ومصطفى أمين يمرحان فى أبهاء القصر الملكي، ويصادقان الحاشية، ويتصلان بالوزراء. ويستقبلان السفراء والزعماء، ويعرفان أسرار المفاوضات ويحملان الرسائل بين أبطال المسرحية ويطلعان على ما يجرى فى غرف النوم وما يدور بين الفراعين من صراع على اللحم والدم والعواطف ويطلقان البخور بين أعمدة الهيكل.

وربما يُدهش كثيرون لأن هذا الفصل التمهيدى من عمره قد انتهى، وهو مجرد عضو منتسب فى نادى الكهانة، فانتصرت ثورة يوليو وهو لا يعرف من فراعين «العهد البائد» سوى اثنين أو ثلاثة من فراعين الدرجة الثانية، كان بينهم «على الشمسى باشا» و«نجيب الهلالى باشا» لعله تعفف العاجز المغلوب على أمره، ففى تلك السنوات كان المعبد مزدحما بديناصورات الكهان: أولاد أمين وأولاد أبو الفتح وفارس نمر وفكرى أباظة وكريم ثابت، وكان الصراع محتدما بين ديناصورات الفراعين: الملك فاروق والسفير البريطانى ومصطفى النحاس وأحزاب الأقلية.

ولأن «هيكل لم يكن يوما أحمق فإنه لم يقتحم الحلبة، ليصارع على مرتبة الكاهن الأعظم ربما لأنه أدرك بواقعية أنه يكاد يخلو من كل الأسلحة التى تؤهله لخوض الحرب فهو لم يولد كأولاد أمين فى بيت سعد زغلول، ولم يتعلم فى جامعة جورج تاون وجامعة شيفلد كما تعلما، ولم تحمله الملكة الوالدة و«تهشكه»، وهو شرف ناله التوأمان وهما رضيعان ولم ينله هيكل فكل مؤهلاته أنه ابن أسرة مستورة، تنتمى للشرائح الدنيا من الطبقة الوسطى، وكل شهاداته هو دبلوم التجارة المتوسطة ودبلوم فى القانون والإعلان.. حصل عليه بالمراسلة، من أحد المعاهد الأجنبية، ودرس سنتين بقسم الدراسات الاقتصادية بمدارس الليسيه الفرنسية، ولعله لم يقتحم الحلبة أيامها ليحصل على مكانة الكاهن الأعظم؛ لأنه أدرك أن عرش الفرعون الأعظم خال، وكان معنى ذلك أن الصراع الذى يدور على موقع الكاهن الأعظمً هو مجرد حماقة أما معناه الأعمق طبقا لقوانين التاريخ المصرى فهو أن قمر الزمن قد أوشك أن يدخل فى المحاق وقد كان.

### هيكل يتربع على عرش الكهانة

هوى قمر الزمن الماضى ليطمره المحاق، وزحف الفراعين


ناصر وهيكل والسادات


هيكل وناصر


ناصر وهيكل ولطفي الخولي


هيكل مع ناصر والقذافي


بقلم: صلاح عيسى

## «ليس بعيدًا عن رأس رجل» رواية عن ثورة يناير المجهضة

## سمير درويش يستحضر عزيزة يونس بروح استشراقية



ملخص

فى «ليس بعيداً عن رأس رجل» الواصلة إلى القائمة القصيرة لجائزة كتارا للأديب المصرى سمير درويش تتداعى الأفكار فى ذهن يونس أبو جبل أستاذ الفنون الجميلة فى لحظة النهاية إثر طلقة قناص محترف نفذت عبر جمجمته صانعة نفقاً مكان إحدى عينيه أثناء مشاركته فى ثورة الخامس والعشرين من يناير وبالتحديد يوم موقعة الجمل، أحد الأيام الفارقة فى مصير الثورة.

تجعل رواية «ليس بعيداً عن رأسِ رجل: عزيزة ويونس» (القاهرة– دار بتانة) لسمير درويش من ثورة يناير إطاراً خارجياً لأحداثها تبدأ وتنتهى بها، مع إحالات لا تشكل متنا للرواية، حول حالة الغضب التى تملأ صدور شباب الطبقة الوسطى من الدارسين فى الجامعة الأمريكية بسبب الرواية الرسمية حول مقتل المواطن خالد سعيد بإسفكسيا الخنق، غضب مكتوم، وفساد مستشري، وإحباط عام تدفع بطل الرواية للتفكير فى العودة إلى أمريكا مرة أخرى، ولكن قبل سفره ببضعة أيام تندلع الثورة، ويموت فى ميدان التحرير دفاعاً عن الشباب السلمي؛ الذى آمن بمستقبل أفضل للبلاد، ضد هجمات البلطجية والهجانة الذين جرى جمعهم من المناطق العشوائية، من أجل إخلاء الميدان والقضاء على الحراك الثورى فى مهده.

تتداعى الأحداث فى الرواية فى خطين سرديين متوازيين الأول مقسم بالأرقام حتى ١٨، كل فصل يحكى عن حياة البطل بين القاهرة وأمريكا، والخط السردى الثانى مرتب ألفبائى حتى حرف «ص» يتناول حياة وحكاية البطل فى قريته، التى تقع بين النيل والجبل وذكريات طفولته هناك، ليتلاقى الخطان فى النهاية فى كشف أبعاد شخصية يونس أبو جبل الذى شق طريقه فى الحياة بتعب وجهد، من قرية فقيرة لا توجد بها أدنى الخدمات من ماء وكهرباء مرروا بالتحاقه بكلية الفنون الجميلة فى القاهرة وتفوقه، ثم تعيينه معيداً، وإعداده للماجستير الذى أتاح له الفرصة لإعداد الدكتوراه فى أمريكا والتعيين فى الجامعة هناك، ثم عودته إلى مصر لتولى أحد المناصب الثقافية.

### النساء

تركز الرواية فى خطيها السرديين على ذكر علاقات بطلها مع النساء، بداية مع عزيزة جارته التى أحبها حباً عظيماً لكنها ماتت قبل أن يتزوج منها، ويعرج فى مرحلة القرية تلك إلى علاقة عابرة مع جارة أخرى كانت له علاقة بها دافعها الغريزة فى المقام الأول والأخير. وفى القاهرة يتناول علاقته بالمراهقة وئام سلطان الفتاة الشعبية بمنطقة بين السرايات القريبة من جامعة القاهرة، يتخذ منها موديلاً لرسوماته لكنها تختفى فجأة تاركة فى نفسه سؤالاً مفتوحاً بلا إجابة بعد أن تعلق بها، ثم يعرج على علاقة المودة والاحترام التى تجمعه بأستاذته سميحة التى يشبهها بالفنانة سعاد حسني، وكان لها الدور الأكبر فى دعم موهبته ومشاركته فى المعارض، وسعادته بعلاقاتها الواسعة فى الانفتاح على الوسط الفني، وهى التى عرفته على الأستاذة ألكسندرا التى حولت سفره إلى أمريكا من منحة مدتها نصف عام إلى دراسة الدكتوراة لمدة خمسة أعوام.

ينتقل بعد ذلك للحكى عن علاقته بمليكة مغربية الأب إسبانية الأم التى جمعته به علاقة حميمة هناك وشاركته السكن، وبعد عودته إلى مصر يتعرف على مهتاب ثم نجوان المتحررة من كل القيم والمبادئ سوى مصالحها الخاصة، وبعدها يتعرف على آية عبدالرحمن التى تمثل جيل الشباب الثائر الذى يدين الأجيال السابقة لأنها صبرت على الفساد لأكثر من ثلاثين عاماً، الفتاة الوحيدة التى لم يأت ذكرها فى الرواية فى سياق جنسى أو نظر إليها السارد تلك النظرة التى أولاها لبقية النساء، غير مركز على وصف ملامحها الجسدية كما فعل مع البقية. «آية بنت مختلفة ليست مثل عزيزة عبدالفتاح الريفية... ليست مثل وئام سلطان البنت الشعبية الفقيرة التى تمتلئ بكلام الأغانى وتقنع بأن عشق الروح مالوش آخر؛ لكن عشق الجسد فاني... ليست مهتاب ابنة الشريحة الدنيا من الطبقة المتوسطة المحجبة، الوحيدة التى دخلت شقته ونامت على سريره وجلست تحت رجليه كزوجة بدائية... كما أنها ليست مثل نجوان سيف الدين الأرستقراطية التى تبحث عن المكان الذى سيدفعها لأعلى دون أن تنتبه للأشياء التى دهستها بحذائها» (ص٢٢١ : ٢٢٢).

### نساء ضحايا

تحتل العلاقة بين الرجل والمرأة الصدارة فى الرواية ولا سيما فيما يتعلق ببطلها مع النساء اللاتى عرفهن طوال حياته، خاصة وأنه لم يتزوج، ولكن هذا لا يعنى أنه كان مغرقاً فى تلك العلاقات حفاظاً على صورته «وألا يكون مادة لحكايات وسط البلد بين الكسالى والمحبطين والفاشلين، سنوات لم يذق فيها طعم امرأة .. سنواتٍ كادت تنسيه أنه رجل، وأنه على بعد خطوة واحدة من الخمسين وأن ما بقى أقل كثيراً مما راح» (ص١٣٨).

وهؤلاء السيدات غالباً ضحايا نشأة أسرية صعبة، فصفاء ابنة قريته غريبة الأطوار يُذهب بها إلى شيخ فى قريتهم لعلاج حالتها، ويكتشف فيما بعد أنها حامل، ثم تختفى فجأة بعد أن قتلها أهلها وأشاعوا أنها سافرت. أما نجوان فقد كان تعريها وملابسها الكاشفة انتقاماً من الزواج التقليدى «كرهت اللقاء المفروض عليها مع زوجها، بقوة ورقة وعبارات محفوظة فتمردت عليه وقررت أن تنفصل، حتى لو كان الثمن أن تترك بناتها الثلاث، وربما لهذا أيضاً تتعمد كشف بعض مفاتنها أمام الرجال لتذل عيونهم الجوعى التى تتعقبها دون حذر»(ص٧٦). نجوان التى كان يتحرش بها خالها العنين حين كانت طفلة دون حماية من الأهل لها.

ومليكة التى تشعر أن والدها المتطرف دينيا الذى هرب من الملاحقات الأمنية فى المغرب إلى أمريكا تشعر أنه غريب عنها وأنه ينظر تحت ملابسها ويعريها بعينيه، وتستطيع كشف هذه النظرة بحاسة الأنثى القادرة على رؤية ما تخفيه القشرة الخارجية.

### صورة سلبية

وفى المقابل تظهر صورة الرجال فى الرواية عادة بشكل سلبى سواء فى صورة الخال المتحرش بالطفلة نجوان، أو الأب المتطرف دينياً الذى يتحرش بصرياً بابنته، أو الأب القاتل لابنته فى قضية شرف، حتى زميله فى الدراسة فى المرحلة الثانوية كان دائم افتعال المشاكل معه.

تواصل الرواية تركيزها على الجانب الجنسى عبر حكايات الرجال غير القادرين على ممارسة العلاقة الحميمة مثل الخال المتحرش، الذى تزوج لمرتين وفشل فيهما جنسياً فوجه طاقته نحو الأطفال، أو ذلك القروى الذى عانى ما يعرف فى الأرياف بـ«الربط» أى عدم قدرته على إتيان زوجته بعد الزفاف ولكنه نجح فى تجاوز هذه المسألة بعد فك الربط على يد أحد الشيوخ.

### التراث

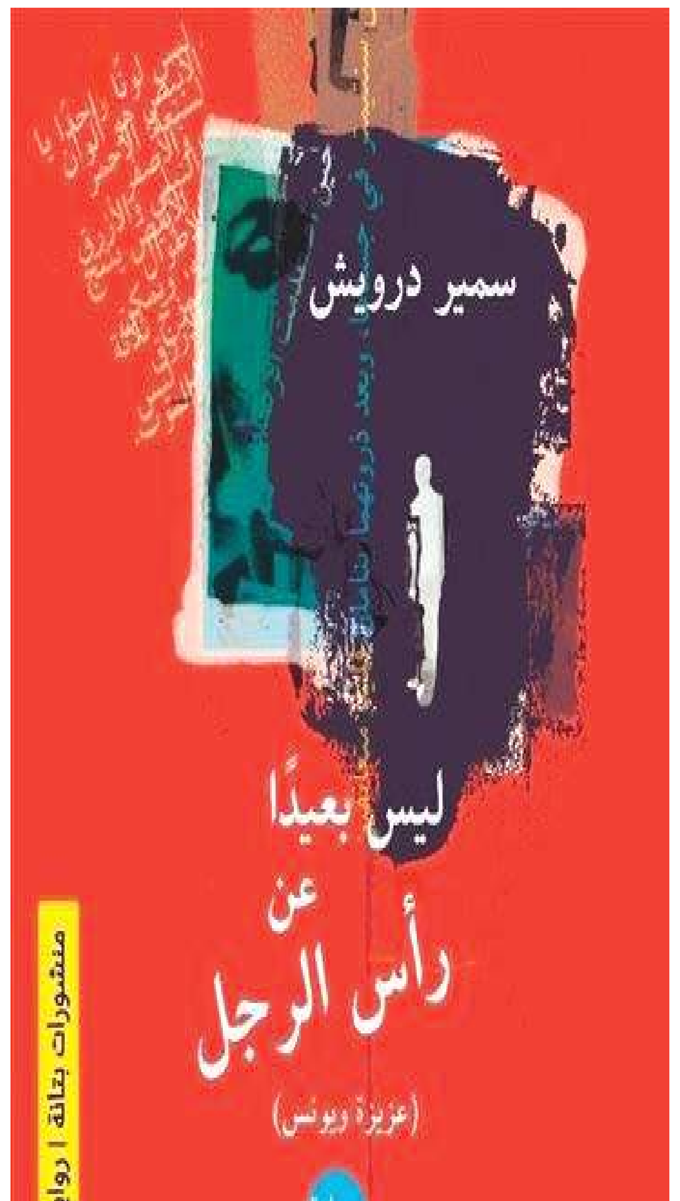
عمدت الرواية إلى استثمار التراث الشعبى ومعتقداته خاصةً فى الجزء المتعلق بتداعى أفكار البطل فى طفولته المرتب ألفبائى فى الرواية مستحضراً طقس الزار ورقص النساء فيه بصدورهن العارية طرداً للأشباح، وحكايات العفاريت المتداولة فى الأوساط الريفية، وتنبؤات العرافات والغجريات اللواتى يطفن على البيوت، عن المشايخ وإخراجهم للجن من أجساد الضحايا، كما يأتى فى السرد جانب من قصة «عزيزة ويونس» والتى يشير فى مقدمة الكتاب أن استعان فيها برواية الشاعر الشعبى السيد حواس ملتزماً بأحداث الرواية وشخصياتها، وهى من الحكايات الشهيرة فى سيرة بنى هلال أثناء رحلة الريادة التى قام بها أبو زيد الهلالى مع أبناء أخته شيحة إلى تونس، فى الروايات المدونة تحل سعدى ومرعى محل يونس وعزيزة بنت الوهيدي، ووظفها المؤلف فى إشارة إلى تشابه اسم بطل الرواية يونس مع حبيبته عزيزة، كما أنها تتماشى فى إطارها العام مع مضمون الرواية التى تركز على الجانب الحسى من الحب، وحكاية عزيزة ويونس من أكثر القصص الشعبية التى تركز على هذا الجانب وتمنحه مساحة كبيرة.

### الروح الاستشراقية

ولا يغيب عن الرواية روح الرؤية الاستشراقية ذلك النمط الفكرى الذى ينظر إلى الشرق باعتباره كياناً مختلفاً جذرياً عن الغرب، وغالباً ما يُقدّم على أنه جامد، متخلف، عاطفي، ولا عقلاني، فى مقابل الغرب «المتقدم والعقلانى والمتحضر». فهذه الروح حاضرة بقوة داخل الرواية فبطلها يعلن عن تماهيه مع الحياة فى أمريكا وعدم شعوره بالاغتراب فى منهاتن منذ لحظة وصوله مفتتوناً بهندسة الشوارع والعمارة والمبانى ورح النظام التى تسرى فى كل مكان ويصفها بأنها «أعظم مدينة على وجه الأرض» (ص١٥٦)، وتعدد الأعراق والأجناس بداخلها دون تمييز «خليط يجعل كل شخص يحس أن هذه بلده هو، لأنه ليس غريباً وافداً على نوع سائد» (ص١٥٢) ويضعها فى مقابل العشوائية فى مصر ويعبر عن كراهيته للحياة فى الريف الذى تخترق فيها الخصوصية، مجتمعات قائمة على النميمة، «من صغرى لا أحب القرية لا أحب الحياة فيها عموماً» ص١٥٩. مجتمع تأكله الصراعات، «لستِ فى الشرق الأوسط لتخاف على مكانك الذى إن تركته سيحتله غيرك، ولن تجد مكاناً بديلاً أنت فى أمريكا »(ص٢٥٦)

كما أنه يرسم عالم القرية بما يحمله من عوالم بشكل باهت سطحى لا يغوص فى أعماقه وإنما يكتفى بسرد الحكايات التى ألفها الناس حول طقوس الزار، العفاريت السيرة، الكلاب الذئاب دون أن يكون لها دور فاعل فى الأحداث، حتى الشخصيات الأخرى فى الرواية مرسومة مع الخارج، فكل أحداث الرواية منصبة على بطلها الأوحد، حتى عزيزة لا تأخذ المساحة الخاصة بها بل تزاحمها فتيات أخريات من وئام والجارة مما يفقد حبه لها الإخلاص الذى يتسم به هذا النوع من العلاقات التى حاولت أن ترسمه الرواية بأنه كان منذورا لها وهى منذورة له، لولا الموت ما كان لهما أن يتفرقا.

تتماشى الرواية مع النظرة الاستشراقية التى ترى الشرق غريبا مثيرا لكنه غير عقلانى مقارنة بالغرب/ أمريكا التى تحتكر العلم والتطور، تؤمن بالتفوق الغربى عقلا ونظاما وأخلاقاً وتختزل العالم الإسلامى والعربى فى صورة نمطية متمثلة فى العربى




د. عبدالكريم الحجراوي

قالت العرب

ياللي بتبحث عن إله تعبده.. بحث الغريق عن أي شيء ينجده
الله جميل وعليم ورحمن رحيم.. أحمل صفاته ..
وانت راح توجده
عجبي

المشهد
العدد 351 السنة الرابعة عشرة– الجمعة 1 مايو 2026 م– 14 ذو القعدة 1447 هـ

## حوار عمره ٣٨ عاما لأديب نوبل أجراه من أبلغه بخبر فوزه ويكشف الوجه الآخر للراحل الكبير

# نجيب محفوظ: النكتة بديل للسجن

## تمنيت الانضمام لأشبال الزمالك .. وحرمني الأدب من استكمال ماجستير "الجمال فى الفلسفة الإسلامية" بإشراف الشيخ مصطفى عبد الرازق

## كنت عاقلا فلم أتزوج عن حب.. حبى الأول عرفته وأنا موظف درجة ثامنة وتحطم بعد ترقيتى للدرجة السابعة!

**بعد أن تقرأ:**
**سوف تكتشف نجيب محفوظ الآخر. نجيب الجميل فى كل الأحوال، فى الرواية، فى السيناريو، فى الحب، فى الزواج، فى معاملة ومعرفة النساء، فى كرة القدم ، فى الغناء، فى الموسيقى .. فى الحياة على وجه الإجمال.**
**قبل ثمان وثلاثين عاما مضت كان لى قصب السبق فى إبلاغه بفوزه بحائزة نوبل للأدب. كان مقدرا لى ان أحوز هذا السبق، ليس عن علم مسبق، ولا عن ضرب للودع واطلاع على الغيب، وإنما لأن القدر الجميل ساقه - الأستاذ نجيب - كالمعتاد إلى كافتيريا فندق شهرزاد المطل على نيل العجوزة، فى فترة ما بين انحسار الظهيرة وولوج العصر، ليولد من رحمهما وريقات ساعة عصارى نسيمها مختلف. جلس يشرب قهوته، ويقرأ صحفه كالمعتاد، ومثلما يفعل الأديب "جامع كناسة الدكان" يحيى حقي، كان عمنا نجيب يتأمل مثله وجوه البشر، من دون ايذاءٍ بنظرة، او إيحاءٍ بتطفل ليس خليقا به.**



### قبل نوبل كنت أدخن كل ساعة بانضباط شديد وبعدها أصبحت أدخن بشراهة!

### تسألنى عن مساحة الخيال فى حياتى وأقول لك: "ده سؤال مش وجيه"

### لا أسمح لأحد بقراءة ما أكتب قبل نشره.. هو يخرج من يدى إلى المطبعة مباشرة

### تسألنى هل أؤلف النكتة وأجيبك: كثيرا ما كنت أدخل فى "قافية" مع ٢٠ شخصا وأتفوق عليهم!

### هذه طقوس الكتابة عندي: أكتب فى "عز الضهر" .. لا أتناول المشروبات.. أدخن بشراهة.. واستمر لثلاث ساعات بغير توقف

## أنحنى لمصر إجلالا وشكرا.. فلولاها ما انتبه أحد ولا التفت ولا عرف باسم الحرفوش نجيب محفوظ

## النكتة انطفأت بعد النكسة والشعب يتوقف عن اطلاق النكات كلما زادت المعاناة.. ويفعل شيئا آخر!

## أحرج موقف تعرضت له فى حياتى بعد ما وضعت "يوم قتل الزعيم" عنوانا لإحدى رواياتي! وظنها الناس عن مقتل السادات

### أعشق النكتة، وأعجب للقفشة فكلاهما أساسى فى تكوين الشعب المصري



### مصر وطني.. غاص قلمي فى نيلها فكان مداده ذهبا وحروفه نورا وسطوره أصالة وصفحاته حقيقة

فى نفس التوقيت.. كنت عائدا للتو من "مشوار عمل".. وبطريقى لأصعد سلم عمارة آل الصباح الملاصقة تماما للفندق. لمحته جالسا فى نفس مقعده. العادة تفتك بالمفاجأة، وتقضى على الإحساس بها، ولم أحسب أننى سألقى سلواى فى مفاجأة بديلة، أعظم من أن يكون وجود عمنا نجيب فى هذا اليوم وجودا عارضا!. صعدت.. كان مدير مكتب جريدة الأنباء الكويتية فى القاهرة جميل الباجورى مضطجعا على كرسيه، ولم يجد من يلقى فى وجهه بالخبر الذى حملته أجهزة التيكرز إليه سواي!

قال لى بفرح هادئ كمن ليس له حول فى الحدث المباغت ولا طول: نجيب محفوظ فاز بنوبل!

هتفت فى وجهه: "أبعت لى سمير صادق المصور على فندق شهرزاد.. نجيب قاعد تحت ع الكافتيريا".. وهبطت السلالم بأقصى ما أستطيع من حركة، ولحظتها وقفت أمامه بكل حب لأقول له (.........)

فى الحقيقة لا أذكر كيف أبلغته من فرط المفاجاة والفرحة.. لكنى حتما زففت إليه أسعد خبر فى حياته الأدبية. لم يكن هناك أى ترتيب منى فى هذه اللحظة، التى كان العالم كله يحاول خلالها - بما فيه الأهرام والأهراميين والأساتذة الكبار فى هذه المؤسسة، وصديقه الكاتب محمد سلماوي.. والسفير السويدى بالقاهرة، وممثل لجنة الأكاديمية السويدية وغير هؤلاء كثر - أن يصلوا إليه ويتحدثوا معه ويهنئونه.

لم يكن أحد هناك سوى نجيب محفوظ وأنا وصديقى السيناريست فتحى سعد وكان بانتظارى يومها.. والنادل فى المقهي.. والمارة الذين يغدون ويروحون أمامه من دون أن يعرفوا أن هذا المصرى (العجوز) أصبح حديث العالم الآن.

اشترطت عليه أن تكون حلاوة الجائزة ان أكون اول من يحاوره قبل غيرى من الصحفيين، ووعدنى بذلك، بينما كانت إحدى بناته قد جاءت بسيارة لإعادته إلى بيته الذى بدأ يفتقده، بعد أن امتلأ عن آخره بالمراسلين والمهنئين.. وفى اليوم التالى كنت هناك فى مكتبه لأجرى أنا وزميلى الراحل مصطفى بدر أطول حوار معه بعنوان نجيب محفوظ من درب قرمز إلى نوبل .

هذا الحوار عن الوجه الآخر معه تاه فى زحام أوراقي، حتى وجدته واكتشفته كثروة أو كنز خبأته، كما القرش الأبيض الذى ينفع فى الأيام السودًاء.

حوار الوجه الآخر لنجيب محفوظ.. مختلف.. رشيق.. سلس. وعجيب ويقول عنه كل شيء.. فيما يلى سطوره:

**(الأوراق والبيانات الشخصية)**

بطاقة شخصية

● **الاسم بالكامل؟**

- نجيب محفوظ عبد العزيز إبراهيم أحمد الباشا.

● **تاريخ الميلاد؟**

- ديسمبر ١٩١١.

● **محل الميلاد؟**

- الجمالية .. درب قرمز .. القاهرة.

● **محل الإقامة؟**

- العجوزة - القاهرة.

● **المؤهل الدراسي؟**

- ليسانس آداب قسم فلسفة من جامعة فؤاد الأول عام ١٩٣٤.

● **ما ترتيبك بين أقرانك من زملاء "الدفعة "عند التخرج؟**

- كنت "الثاني" على الدفعة.

● **هل أكملت دراساتك العليا؟**

- أعددت لرسالة ماجستير عن مفهوم الجمال فى الفلسفة الإسلامية.

● **ومن الذى أشرف عليها؟**

- الشيخ مصطفى عبد الرازق (رحمه الله).

● **وهل نلت درجة الماجستير؟**

- شغلنى الأدب عن الدراسة.. فتوقفت عن استكمالها بعد انخراطى فيها عامين كاملين.

● **مهنتك الحالية ما هي؟**

- كاتب وروائي.

● **ما الوظائف التى شغلتها؟**

- عيّنت موظفا بجامعة فؤاد الأول عام ١٩٣٤.. وانتقلت للعمل بوزارة الأوقاف عام١٩٣٥ ، فمديراً للرقابة على المصنفات الفنية، فرئيساً لمجلس إدارة مؤسسة السينما عام ١٩٦٧، فمستشاراً لوزير الثقافة (د. ثروت عكاشة) وحتى إحالتى للمعاش عام١٩٧٠ .

● **الحالة الاجتماعية؟**

- متزوج.. ولى بنتان (فاطمة - أم كلثوم ).

(ملامح الطفولة)

● **ماذا بقي من ذكريات الطفولة؟**

- الجو الشعبى الذى عشت فيه، برائحة أيام زمان وطابعها المميز بجمالياته - فى ذلك الزمان وطابعه المميز - وبرغم انتقالنا من حى الحسين إلى العباسية، إلا أن زيارتى للحسين لم تنقطع يومياً، ولا زالت رائحته تعيش فى وجدانى وعقلي.

● **وما أهم ملامح طفولتك؟**

- عشت طفولة سعيدة نسبيا، فأسرتى كانت فى حالة توافق وانسجام مع بعضها البعض، مما ساعدنى على مصافحة الحياة بتلقائية، وكنت آخر العنقود بين خمسة أشقاء .. ثلاثة ذكور واثنتان من الإناث، جميعهم رحلوا عن دنيانا، لكن ما أذكره أن الحياة كانت أسهل بعض الشيء، والدنيا "رخيصة" مما هيأ لنا طفولة سعيدة نسبيا.

● **هل كنت تلهو وتلعب.. أم كنت أميل للعزلة؟**

- بالعكس.. كنت ألعب الكرة.. وأمارس طفولتى كاملة.

● **هل كان ذلك على حساب المذاكرة والتفوق الدراسي؟**

- إطلاقا، فأنا تلميذ مجتهد، ومتفوق منذ صغري.

● **ألم تدرس بالكتاب؟**

- بل فعلت.. التحقت بكتّاب الشيخ "بحيري" زمان، وكان عمرى أربعة أعوام.. حتى التحقت بالمدرسة الابتدائية.

● **ما اسمها ؟**

- الحسينية الابتدائية.. ومنها إلى مدرسة فؤاد الأول الثانوية.

(قراءات أولى)

● **ەل كنت تسهر طويلا من أجل المذاكرة؟**

- بالعكس.. كنت أسهر طويلاً مع أصدقائي!

● **ما أهم علامة مميزة فى حياتك منذ التحاقك بمدرسة الحسينية الثانوية ؟**

- منذ ذلك الوقت تفتحت عيناى على القراءة والشغف بالمعرفة والسفر فى عوالم الكتاب والمفكرين.

● **ما أول كتاب قرأته ؟**

- الروايات البوليسية.. وهمت حبا بالتاريخ، حتى أننى كرست جانبا كبيرا من حياتى واهتماماتى الأدبية لرواية تاريخ مصر فى مؤلفاتى .

● **ما أول أجر تقاضيته عن عمل قمت بتأليفه ؟**

- نقدنى أحمد أمين رئيس تحرير مجلة الثقافة الجديدة جنيها ثمنا لأول رواية نشرها لي.

● **متى تجلس لتكتب؟**

- حينما "تنفتح" نفسي.

● **وكيف تكتب؟ ما هى طقوسك أثناء الكتابة؟**

- أغلق باب حجرتى على نفسي.. ولا أشرب شاياً أو قهوة.. ولكننى أدخن بشراهة ويكون ذلك فى عز الظهر.. واستمر لمدة لا تقل عن ثلاث ساعات.

● **هل تقوم بعملية كشط و شطب وتغيير أثناء الكتابة؟**

- إذا حدث ذلك أعيد كتابة الورقة من جديد.

● **هل تقرأ لأحد من أسرتك ما كتبته قبل نشره؟**

- إطلاقا.. هو يخرج من يدى للمطبعة مباشرة.

)ملامح شخصية)

● **هل انت إنسان غضوب .. وما مساحة الغضب فى حياتك؟**

- ومن منا لايغضب؟ كل انسان لديه شعور وإحساس ومن لا يغضب شخص عديم الإحساس.

● **ما الذى يغضبك؟**

- يغضبنى الظلم، وإهدار حقوق الإنسان.

● **هل للضحك مساحة كبيرة فى حياتك؟**

- أنا أضحك للنكتة، وأعجب للقفشة.. فكلاهما أساسى فى تكوين الشعب المصرى ..

● **هل تذكر أنك ألفت النكتة يوما ما؟**

- كثيرا ماكنت أدخل فى قافية مع عشرين شخصا وأتفوق عليهم.

● **هل النكتة بديل للرأي؟**

- هى بديل للسجن.

● هل مازلت تطلقها؟

- النكتة انطفأت بعد النكسة، فعندما تزيد الضغوط يكف الشعب المصرى عن النكتة ويفعل شيئا آخر!

● **هل هى الثورة ؟**

- ربما!

(أحزان وأحلام وضحكات)

● **ما مساحة الخيال فى حياتك؟**

- سؤال "مش وجيه"

● **بماذا حلمت فى شبابك؟**

- أن أكون مفكرا بارزا

● **وبماذا تحلم الآن ؟**

- الصحة والستر

● **مامساحة الحزن فى حياتك؟**

- لاتوجد حياة من دون أحزان

● **علام حزنت؟**

- حزنت على فقد كثيرين حزنا عقليا.. بما فى ذلك أسرتي، لكننى حزنت حزنا كبيرا على وفاة سعد زغلول.

● **لماذا ؟**

-كان أحب رجل إلى نفسي، وعندما رحل أحسست أن الدنيا كلها انتهت.

×هل أنت شخص سعيد؟

- السعادة كالليل والنهار

● هل شعرت بالاغتراب يوما ما؟

- **نعم.. خاصة فترات توقفى عن الكتابة.**

(من الموسيقى إلى الكرة)

● **هل تسمع موسيقى وأنت تكتب؟**

- لا..

● **ما نوع الموسيقى التى تميل إليها؟**

- الكلاسيك.

● **هل تحب السفر؟**

- أتنقل فيما بين القاهرة والإسكندرية فقط

● **لماذا ؟**

- لأننى لا أطيق الابتعاد عن القاهرة نهائيا ولا أحب حتى مجرد التفكير فى ذلك.

● **هل تدخن بشراهة؟**

- قبل سنوات كنت أدخن سيجارة كل ساعة بانضباط شديد، وبعد نوبل أصبحت أدخن بشراهة!

● **هل تحب النظام والهدوء؟**

- إلى أبعد حد

● **ما ملامح هذا النظام؟**

- أصحو مبكرا فى الخامسة، وأسير فى طريق لا أغيرها أبدا، أذهب إلى مقهى على بابا أو فندق شهرزاد، لأشرب القهوة وأقرا جرائد الصباح، وأنام ظهرا وأصحو من نومى لأكتب ولا أغير مواعيد نومى المحدد بعد منتصف الليل.

● **هل الابداع له علاقة بالنظام؟**

- الابداع ليس محددا بتوقيتات معينة، ولا علاقة له بالنظام، فهو عملية داخلية تأتى متى شاءت، وليس ممكنا أن أجلس إلى مكتبى ويتدفق الإلهام " مكنش حد غلب".

● **هل تقلق ؟**

- قلق إيجابى تحسباً للمستقبل.

● **هل تأرق ليلاً؟**

- أحياناً.

(مواقف)

●**هل تشاهد التليفزيون؟**

- فى الماضي.. كنت أشاهد الأفلام الأجنبية.

● **ومباريات الكرة؟**

- لا تنس أننى كنت "لعيب حريف".. وأسرع لاعب فى مصر ، وكان بودى الالتحاق بفريق الأشبال فى نادى الزمالك، ولكن لم أتمكن لظروف الدراسة.

● **هل تحب الغناء؟**

- أنا عاشق للطرب والغناء.

● **صوت من المطربين يعجبك؟**

- شغفت بصوت صالح عبد الحى ثم عبد الوهاب.

● **ومن المطربات؟**

- الست.

● **لك ابنه اسمها أم كلثوم؟**

- أسميتها على اسم "الغالية"

● **ما أحرج موقف صادفته فى حياتك؟**

- حينما وضعت عنوان "يوم قتل الزعيم" لإحدى رواياتي، وتصور الناس خطأ أننى أروى سرداً لعملية اغتيال السادات.

● **وما أسوأ خبر تلقيته فى حياتك؟**

- وفاة سعد زغلول.. ونكسة ٦٧.

● وما أجمل خبر؟

- أنت - ومصر كلها تعرفه .

● **ما رأيك فى بكاء الرجل؟**

- لا يوجد رجل فى العالم لم يبكِ!

● **رجل بكيته بشدة من هو؟**

- بكيت عبد الناصر بعقلى ونحن فى مقهى ريش..

(فى المرأة)

● **ماذا تساوى المرأة فى حياتك؟**

- الكثير .

● **من هى المرأة صاحبة الفضل عليك؟**

- أمى وزوجتي.

● **من هى أحن امرأة؟**

- المرأة العربية .

● **وأصبر امرأة؟**

- المصرية

● **لماذا ؟**

- رغم كل الصعاب تستطيع ان تتدبر ظروفها وترتب أمورها وهى ترمومتر البيت

● **من هى أجمل امرأة؟**

- التى تتعامل بنقاء.

●**وأقبح امرأة؟**

- الأنانية.

• **وامرأة تفضلها؟**

- المخلصة.

● **وما أول ما يلفت نظرك فى المرأة؟**

- طريقة كلامها.

• ما أصعب موقف يقفه رجل أمام امرأة؟

- عندما تفضح خيانتها له.

●**متى يخاف رجل من امرأة؟**

- إذا كرهته.

●**ومتى تغفر امرأة؟**

- إذا أحبت.

(فى الحب)

● **ما الحب.. وما تعريفك له؟**

- الحب أعظم قيمة إنسانية فى الوجود .. وهو نوعان.. رومانسى حالم يعيش فيه المحب مع حبيبته فى خيال دائم.. ولا يراها إلا من وراء النافذة وهو حب عذرى مجنون تماما كان سائدا فيما مضى.

● **هل يشبهه الحب الأول؟**

- بل أن الحب الأول هو من هذا النوع.

● **والنوع الثاني؟**

- حب عاقل.. واقعى يأتى فى سن النضج وتفتح الوعى والإدراك وهو يعيش أكثر من الحب الرومانسي.

● **هل عرفت "الحب الأول"؟**

- عندما كنت موظفا .. درجة ثامنة !

● **وماذا حدث؟**

- انكسر هذا الحب وتحطم بعد ترقيتى للدرجة السابعة (نضحك معا للقفشة ونواصل حوارنا)

● **هل تزوجت عن حب؟**

- كنت عاقلا !

● **بمعنى؟**

-بمعنى أنه ليس عن كراهية!

● **أيهما أكثر اشتعالا وولعا بالحب المرأة أم الرجل؟**

- أحيانا هو وأحيانا هي.

● **أيهما أبقى زواج الحب أم زواج العقل؟**

- المهم ان يكون الحب قاسما مشتركا فى كلتا الحالتين.

● **متى يتأجج الحب؟**

- عندما يلوح على الأفق شبح امرأة أخرى

● **..ومتى يفتر الحب؟**

- عندما تفوح رائحة النقود

● **وما الذى يهزم الحب؟**

- الحب الحقيقى لاشيء يهزمه

(فى الزواج)

● **مامفهوم الزواج لديك؟**

- استقرار - اطمئنان - سعادة

● **هل هو قضاء وقدر؟**

- تستطيع ان تقول انه قسمة ونصيب وقضاء وقدر وضرورة اجتماعية فهو كل ذلك.

● **ما أجمل ما فيه؟**

- العشرة .. والأسرة .. والأبناء

● **وأسوأ ما فيه ؟**

- أعباؤه ومسؤولياته

● **من هى أسوأ زوجة فى رأيك؟**

- "الأنانية" و" بلاعة النقود".

● **وأفضل زوجة؟**

- الوفية.. التى تنكر ذاتها وتخلص لزوجها.

● **وزوجتك ماذا تمثل لك؟**

- أنا سعيد بكونها ربة بيت، لأننى أعود دائماً إلى البيت باعتباره شيئا مهما، فى حياتي، وعندما أعود إليه وأجد الهدوء وأشم رائحة الورود.. وأجد طعامى معداً بشكل طيب أتأثر للغاية، فتلك أشياء هامة فى حياتي، والفضل فيها لزوجتي.

● **ماذا تمثل مصر بالنسبة لك؟**

- مصر هى التى غاص قلمى فى نيلها فكان مداده ذهبا.. وحروفه نورا، وسطوره أصالة، وصفحاته حقيقة.. مصر يا وطنى من درب قرمز وحتى الجمالية والحسين والسيدة، وحتى أهرامك وسدك العالي، دعينى أنحنى لك إجلالا وشكرا، فلولاك ما انتبه أحد ولا التفت ولا عرف باسم الحرفوش نجيب محفوظ.

حوار: محمود الشربيني

المشهد
العدد 351 السنة الرابعة عشرة- الجمعة 1 مايو 2026 م- 14 ذو القعدة 1447 هـ

# على عطا: القارئ العربى يتلقى "نسخة مُفلترة" من الصين

## غياب دراسات الترجمة عربيًا أحد أسباب ضعف تقييم الأدب الصينى رغم ازدهار ترجمته فى السنوات الأخيرة

## بدأ اهتمامى بالأدب الصينى بعد قراءة ترجمة الذرة الرفيعة الحمراء عقب فوز مويان بجائزة نوبل






**بدأ الكاتب على عطا مسيرته الأدبية شاعرًا عام ٢٠٠١، حين أصدر مجموعته الأولى «على سبيل التمويه» ضمن سلسلة «كتابات جديدة» الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب. ثم واصل تجربته الشعرية بديوانه الثانى «ظهرها للحائط» عام ٢٠٠٧ عن دار شرقيات، قبل أن يصدر ديوانه الثالث «تمارين لاصطياد فريسة» عام ٢٠١٣، ليؤكد حضوره داخل المشهد الشعرى المصري.**

**فى عام ٢٠١٧، انتقل عطا إلى عالم الرواية عبر عمله «حافة الكوثر» الصادر عن الدار المصرية اللبنانية، وهو التحول الذى تعزز بروايته «زيارة أخيرة لأم كلثوم» عام ٢٠٢٠، حيث واصل اشتغاله على السرد وتوسيع أدواته التعبيرية.**

**ومع عام ٢٠٢٣، اتجه إلى الكتابة النقدية والمقالية عبر كتاب «وجوه وكتب وقضايا» الصادر عن بيت الحكمة، والذى جمع فيه مقالاته المنشورة فى صحف ومجلات مختلفة، تلاه كتاب «ظلال السرد» عام ٢٠٢٤ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، متضمنًا قراءات نقدية فى الرواية العربية والأجنبية.**

### الطفرة فى الترجمة مرتبطة بانفتاح الصين ثقافيًا واقتصاديًا على العالم

### انبهرت بعالم الرواية الصينية وواقعيتها السحرية المتكئة على ثقافة متجذرة

### الترجمة لا تدر ربحًا ماديًا غالبًا.. لكنها تغنى المكتبة العربية وتفتح أفقًا للتبادل الثقافي

### تلقى الأدب الصينى عربيًا لا يزال نخبويًا لكنه قابل للاتساع

### الرواية هى المسيطرة والشعر الصينى لا يزال بعيدًا عن القارئ العربى رغم تاريخه الطويل

### أعمل على كتاب عن الأدب الأفريقى باللغة العربية فى سياق غير تقليدي



أهم كتب علي عطا

وفى أحدث إصداراته قدّم كتابه «الأدب الصينى بالعربية: الترجمة والتلقى والانتشار» عن بيت الحكمة، وهو عمل بحثى يفتح أفقًا جديدًا فى دراسات الترجمة والتفاعل الثقافي. وفى هذا السياق، يأتى هذا الحوار مع على عطا للوقوف على دوافع اهتمامه بالأدب الصيني، ورؤيته لمسارات ترجمته إلى العربية، وأبرز النتائج التى خلص إليها، إلى جانب استكشاف صورة الصين فى الوعى العربى من خلال النصوص المترجمة، وكذلك التعرف على مشاريعه الكتابية المقبلة.

**● فى البداية، كيف تشكّل اهتمامك بالأدب الصيني؟**

– بدأ اهتمامى بالأدب الصينى عقب فوز مويان بجائزة نوبل عام ٢٠١٢، والذى أعقبه مباشرة صدور ترجمة روايته "الذرة الرفيعة الحمراء" عن المركز القومى للترجمة بتوقيع الدكتور حسانين فهمى حسين الذى ترجمها إلى العربية من الصينية مباشرة. قرأت تلك الترجمة بمجرد صدورها، وانبهرت بعالمها الزاخر بواقعية سحرية عبر أجواء تعكس بيئة موغلة فى المحلية وفى الاتكاء على ثقافة متجذرة فى مجتمعها منذ آلاف السنين. وتواصلت مع المترجم الذى خص جريدة "الحياة" فى ذلك الوقت بحوار أجراه مع مويان بث التلفزيون السعودى جزءا كبيرا منه. ومن وقتها لم يتوقف انجذابى إلى الأعمال الأدبية الصينية المعاصرة مترجمة إلى اللغة العربية، وكان لمجموعة "بيت الحكمة" دائما نصيب الأسد منها، مع وجود دور نشر أخرى فى مصر وضعت نشر الأدب الصينى مترجما إلى العربية مثل المركز القومى للترجمة ودار "العربي" والهيئة المصرية العامة للكتاب والهيئة العامة لقصور الثقافة. ويمكننى القول إن فوز الأديب الصينى مويان بجائزة نوبل عام ٢٠١٢ الذى تبعه نشاط ملحوظ فى ترجمة الأدب الصيني، إلى لغات شتى، منها اللغة العربية، ليس السبب الوحيد فى هذه الطفرة، فالعامل الأهم فى تصورى هو انفتاح الصين على العالم، اقتصاديًا وتقنيًا، على نحو غير مسبوق منذ تأسيس جمهورية الصين الشعبية، عام ١٩٤٩، وخصوصًا فى البعد الثقافى المتنوع بتنوع قوميات هذا البلد التى يصل عددها إلى ٥٦ قومية، تشكل سُدس سكان العالم وتعكس اندماج الثقافات المتنوعة فى حضارة واحدة.

**● ما الذى دفعك لتخصيص كتاب كامل لدراسة حضور الأدب الصينى فى الثقافة العربية؟**

– ندرة "دراسات الترجمة"، باللغة العربية، عموماً وانعدامها بالنسبة للأدبِ الصينى على وجه الخصوص، تقريباً. ولهذا اخترت أن يركز كتابى على حركة ترجمة الأدب الصينى إلى اللغة العربية، وما تواجهه من تحديات، وما تعكسه من علامات على طريق التقارب الصينى العربى المتنامى فى الوقت الراهن، ومن ثم فإنه على الرغم من تسليطه الضوء على بعض الأعمال الأدبية والفكريةٍ المترجمة من الصينية إلى العربية حديثًا؛ فإن منهجه وهدفه، يختلفان عن منهج وهدف كتب سابقة، مثل كتاب "قراءة سعودية فى الرواية الصينية المعاصرة" الصادر عن مركز البحوث والتواصل المعرفى بالمملكة العربية السعودية، ويضم عددًا من المقالات حول أعمال روائية صينية معاصرة. وأيضًا كتاب منير عتيبة: "قراءات نقدية فى الأدب الصيني" الصادر عام ٢٠٢١ عن "بيت الحكمة" فى القاهرة، الذى يشبه الكتاب السابق فى تناوله النقدى أو القرائى لعدد من الأعمال الأدبية الصينية المترجمة حديثًا إلى اللغة العربية.

**● هل يمكن القول إن هناك "لحظة مفصلية" جعلتك تشعر بضرورة إنجاز هذا المشروع؟**

– نعم، هى اللحظة – إذا جاز التعبير – التى عرضتُ فيها فكرة الكتاب – على استحياء – على الرئيس التنفيذى لمجموعة بيت الحكمة الدكتور أحمد سعيد، ولاقت قبوله. فبدون ذلك القبول ربما كان حماسى للفكرة سينطفئ. فللأسف بات من الصعب أن يجد كاتب مثلى ناشرًا يتحمس لنشر كتاب بحثى بما أننى لست باحثًا أكاديميًا، كما أن الموضوع نفسه يناسب "بيت الحكمة" أكثر من غيرها من دور النشر الأخرى؛ حكومية كانت أو خاصة، فالموضوع ليس عملاً روائيا لى أو عملا أدبيا قمت أنا بترجمته، مع العلم أننى أصلا لا أعرف أى مفردة من مفردات اللغة الصينية! وللأمانة كانت تلك اللحظة دافعًا لى للبحث والتنقيب فى مختلف زوايا موضوع الكتاب فى عدد كبير من المصادر، كما أننى استفدت من مقالات سبق أن كتبتها عن روايات صينية مترجمة إلى اللغة العربية. وهذا يعنى بلا مواربة أنى قبل تلك اللحظة لم أكن أعرف الكثير فى موضوع ترجمة الأدب الصينى إلى العربية، لكن فقط كنت أستشعر أهميته وضرورة أن يوفى حقه من البحث والدراسة. وهكذا اهتديت إلى أنه يكفينى أن أنبه عبر هذا الكتاب، ما أمكن، إلى أهمية أن تنتعش دراسات الترجمة على المستوى العربي، وخصوصًا إزاء وافد جديد قديم، هو الأدب الصيني؛ فهو قديم بحكم أن بدايات ترجمة الحديث منه إلى العربية، تعود إلى بضعة عقود، سبقت الطفرة التى نشهدها حاليًا والتى زاد زخمها بعد فوز مويان بجائزة نوبل فى الآداب عام ٢٠١٢، إلى الحد الذى يجعلنا وكأننا بصدد وافد جديد فعلا، من حيث سماته التى تميزه إلى حدّ بعيد عن كلاسيكيات ذلك الأدب الشهيرة وتتصل به على نحو ما فى الوقت نفسه. نحتاج إلى تشجيع نقد الترجمات العربية المتلاحقة للأدب الصيني، فى سياق دراسات الأدب المقارن، وغيره من السياقات المتصلة بعلوم اللسانيات، وتحديدًا فى ما يتعلق بالمشترك وغير المشترك فى اللغتين العربية والصينية، عبر تأمل منهجى عميق للنص الأصلى وترجمته، أو ربما ترجماته بما إن هناك حالات لترجمة نص معين أكثر من مرة.

**● ما سمات الأدب الصينى التى لمستها؟**

– بحلول القرن العشرين ظهر أثر الأدب الغربى فى أعمال كثير من الكتاب الصينيين، وإن ظلت لها سماتها التى تميزها عن غيرها من الآداب العالمية، وفى مقدمتها سمة الواقعية السحرية، ولكن على الطريقة الصينية، المتكئة على تراث زاخر بالأساطير والفلسفات ممتدة الأثر، فى سياق حضارى متصل منذ خمسة آلاف عام. ومن سماته أيضا البحث عن الجذور وهو تيار اتضحت معالمه منذ ثمانينيات القرن الماضي، فى كثير من الروايات ومنها أكثر من رواية لمويان الذى يعتبر من أبرز ممثلى ذلك التيار. ومن الأعمال التى ظهرت مترجمة إلى العربية ويظهر فيها نزوع إلى معالجة حقبة المجاعة الكبرى، وسنوات الثورة الثقافية من باب النقد السياسي، كسمة مميزة للأدب الصينى المعاصر، رواية "الزمن المفقود" للكاتب وانغ شياوبو. وهى فى تكنيكها ذكرتنى برواية "الشعلة الخفيّة للملكة لوانا"، وفيها يبحر الكاتب الإيطالى الراحل أمبرتو إيكو، عميقًا، عبر بطلها "جيان باتستا بودوني"؛ الملقّب بـ"يامبو"، والمهدّد بالعيش بقية عمره وسط ضباب كثيف على إثر فقدانه الذاكرة جزئيًا بعد أن بلغ الستين من عمره، فى معنى التذكر وآلياته وارتباطه بالزمن والوجود الفردى والجمعي، وفرز الزائف من الحقيقى فى المرويات التاريخية الرسمية. ولا ينكر دارسو الأدب الصينى الحديث وكتابه أيضاً أثر انفتاحهم على أدب الغرب وأدب أمريكا اللاتينية مع المحافظة فى الوقت نفسه على السمات المتوارثة الخاصة بالثقافة الصينية.

**● كيف صغت الإطار المنهجى لكتاب الأدب الصينى بالعربية؟ وما أبرز الأسئلة التى انطلقت منها؟**

– الإطار المنهجى لهذا الكتاب قام أساسًا على قراءة عدد كبير من الأعمال الأدبية الصينية المعاصرة المترجمة إلى العربية واستخلاص سماتها وتلمس تحديات ترجمتها من لغتها الأصلية مباشرة بفضل مترجمين درسوا اللغة الصينية وتعمقوا فى فهم الثقافة الصينية، خصوصا فى كلية الألسن بجامعة عين شمس وكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر. أما أبرز الأسئلة التى توقفت عندها ونبهت إلى أهمية تبنيها فى دراسات لاحقة هو سؤال تقييم الترجمات العربية للأدب الصينى المعاصر وهو مجال نشط، لكنه بحاجة إلى مزيد من التقييم والنقد المتخصص، مع الأخذ فى الاعتبار تحديات الترجمة الأدبية فى نقل الثقافة الأصلية والجمالية الأدبية. وكذلك السؤال عن موقع الأدب الصينى على المستوى العالمى ومدى انتشاره وكيفية تلقيه، وتبيّن لى أنه هذا الأدب بات يشكل عالمًا ثقافيًا غنيًا ومعقدًا؛ ما يجعل نقله إلى اللغة العربية تحديًا كبيرًا يتطلب فهمًا عميقًا للثقافة الأصلية والقدرة على تكييفها لتناسب الذوق العربي.

**● ما أهم النتائج التى توصلت إليها فيما يتعلق بحركة ترجمة الأدب الصينى إلى العربية؟**

– لاحظت أن الاهتمام بترجمة الروايات الصينية يفوق ما تحظى به الأجناس الأدبية الصينية الأخرى، بما فيها الشعر الذى ظل لقرون عديدة هو "ديوان الصين"، مثلما كان الشعر العربى هو ديوان العرب، إلى أن تسيّدت مقولة "زمن الرواية"، المرتبطة بالناقد الراحل الدكتور جابر عصفور، بصفة خاصة. وكما جاء على لسان المترجمة يارا المصرى فى مقال نشرته مجلة "الثورة" التونسية فى ٢٩ من نوفمبر ٢٠٢٢، فإن الشعر الصينى المعاصر لا يزال بعيدًا عن القارئ العربي، وخاصة شعر فترة الثمانينيات وما بعدها، لم نعرف منه سوى القليل غير الكافى لمواكبة حركة وتطور هذا الأدب البعيد عنا فى الشرق، ومن جهة أخرى غير كاف لمواكبة حركة الترجمة عنه فى العالمَ بأكمله.

**● ما الذى يُترجم من الأدب الصيني، ومن الذى يختار؟ وهل نحن أمام "صورة مُنتقاة" للصين أكثر منها صورة حقيقية؟**

– تأتى الرواية فى المقام الأول كما ذكرت قبل قليل. الذى يختار عادة هو الناشر وقد يكون ذلك فى بعض الحالات بالاتفاق مع مؤسسات صينية معنية بانتشار الأدب الصينى الجديد فى المنطقة العربية، وفى العالم، فى سياق الانفتاح الذى يضمن نقل صورة حقيقية أكثر منها صورة منتقاة كما كان يحدث مثلا فى زمن ماوتسى تونج والثورة الثقافية والانكفاء على الذات فى ظل توجس من الآخر عموما.

**● هل تعتقد أن هناك انحيازًا نحو نصوص بعينها (سياسيًا/جماليًا) على حساب أخرى؟ وما أثر ذلك فى تشكيل وعى القارئ العربى بالصين؟**

– هذا الانحياز هو أمر طبيعى من جانب الصينيين أنفسهم. فالكتاب المصنفون باعتبارهم معارضين على نحو واضح وصريح يتجنب الصينيون الرسميون دعم ترجمة أعمالهم، سواء إلى اللغة العربية وغيرها. لكن هناك دور نشر لا تلتزم تلك السياسة، وغالبا تترجم من لغة وسيطة مثل الإنجليزية أو الفرنسية. لكن الأمر بصفة عامة ليس بدرجة السوء التى كان عليها فى زمن الانغلاق.

**● إلى أى مدى تخضع حركة الترجمة لمنطق السوق مقابل منطق المعرفة؟**

– إلى حد كبير بالنسبة إلى عدد لا يستهان به من دور النشر التى تستهدف الربح فى المقام الأول. لكن هناك مشاريع فى سياق حركة الترجمة تهتم فى المقام الأول بالمعرفة لأنها لا تهدف إلى الربح ولا إلى منطق السوق إلى حد بعيد، منها مثلاً مشروع "كلمة" الإماراتي، ومشروع المركز القومى للترجمة فى مصر وسلسلة الجوائز فى الهيئة المصرية العامة للكتاب، ومجموعة "بيت الحكمة"، لأن التعريف بالصين سياسة وأدبا واقتصادًا وحضارة ممتدة يعتبر الهدف الأساسى لوجودها.

**● هل تغيّرت صورة الصين فى المخيال العربى عبر هذه الترجمات خلال العقدين الأخيرين؟**

– لا أستطيع أن أحدد بدقة. لكن يبدو لي، أن الطفرة فى الترجمة من الصينية إلى العربية ستساعد حتمًا فى بلورة صورة الصين الحقيقية كبلد منتج للمعرفة وللأدب الرفيع فى الماضى والحاضر، وليس مجرد بلد تأتينا منه السلع رديئة الصنع أو تنتج هوليود عنه أفلاماً تجارية تظهره مجرد مجتمع تزدهر فيه الجرائم ورياضات الدفاع عن النفس ويأكل سكانه الحشرات ولحم الكلاب.

**● برأيك، ما أبرز التحديات التى تواجه ترجمة الأدب الصينى إلى العربية؟**

– التحديات اللغوية؛ فاللغة الصينية تختلف بشكل جذرى عن اللغة العربية، ما يجعل عملية الترجمة الأدبية تحتاج إلى مهارات عالية فى اللغتين، مع الحرص على عدم النسخ الحرفى للكلمات، وهناك تحدى الحفاظ على الجودة الأدبية: يهدف المترجم إلى الحفاظ على الروح الإبداعية والخيال الموجود فى العمل الأدبى الأصلي، بالإضافة إلى التكيف مع اللغة الهدف (العربية) بما يحافظ على جمالية النص. كما ينبغى دعم وتشجيع عملية الترجمة؛ فمعروف أنها غالبًا لا تدر ربحًا ماديًا، لكنها بالتأكيد تغنى المكتبة العربية. ومن الضروري، فى هذا السياق تطوير حركة النقد الأدبى المتخصصة لتقييم الترجمات العربية للأدب الصيني، وتقديم رؤى نقدية بناءة حول جودة الترجمات المقدمة. وينبغى أيضًا تشجيع زيادة التبادل الثقافى بين العالمين العربى والصيني، بما فى ذلك تنظيم فعاليات مشتركة ومؤتمرات لمناقشة قضايا الترجمة الأدبية بين اللغتين. . كما ينبغى دعم وتشجيع عملية الترجمة؛ فمعروف أنها غالبًا لا تدر ربحًا ماديًا، لكنها بالتأكيد تغنى المكتبة العربية. ومن الضروري، فى هذا السياق تطوير حركة النقد الأدبى المتخصصة لتقييم الترجمات العربية للأدب الصيني، وتقديم رؤى نقدية بناءة حول جودة الترجمات المقدمة. وينبغى أيضًا تشجيع زيادة التبادل الثقافى بين العالمين العربى والصيني، بما فى ذلك تنظيم فعاليات مشتركة ومؤتمرات لمناقشة قضايا الترجمة الأدبية بين اللغتين.

**● كيف تقيم استقبال القارئ العربى للأدب الصيني؟ هل هو نخبوى أم بدأ يتسع؟**

هو بالطبع نخبوي. جمهور الأدب عندنا نخبوي، لكنه قابل للاتساع. فالنخبة ليست كتلة جامدة، بل هى قابلة للتمدد كلما ارتقى مستوى التعليم وكلما تغلبت حركة النشر على العوائق التى تواجهها عادة. كما أن اتساعه مضمون بفضل التكنولوجيا التى وضعت الكتاب الإلكترونى فى نطاق جماهيرى أوسع من نطاق الكتاب الورقي. وأظن أن تلقى الأدب الصينى المترجم إلى اللغة العربية فى حال طيبة بدليل ازدهاره فى السنوات الأخيرة

**● هل هناك أعمالٍ صينية معينة ترى أنها نجحت فعلاً فى الوصول إلى القارئ العربي؟**

تُعَدُّ "الشيفرة" للكاتب ماى جيا، أكثر رواية صينية انتشرت فى العالم خلال القرن العشرين، فقد تُرجمت إلى ٣٣ لغة، وهى أول رواية صينية تحفظ فى المكتبة العالمية. وقد حققت ترجمتها إلى اللغة العربية نجاحا ملحوظا. وحدث الشيء نفسه مع تترجمة رواية "الذرة الرفيعة الحمراء" لمويان التى صدرت منها طبعتان، الأولى من المركز القومى للترجمة والثانية من دار صفصافة. ويُعد ليو جين يون من أكثر الكتاب الصينيين الذين تُرجمت أعمالهم إلى اللغة العربية فى السنوات الأخيرة، ومنها "الطلاق على الطريقة الصينية"، التى تُرجمت إلى أكثر من ثلاثين لغة، و"رُبَّ جملة بعشرة آلاف جملة"، و"١٩٤٢"، و"قصة الطبال وعازف البيانو"، و"تاريخ آخر للضحك" و"اسمى ليو"، وكذلك رواية "المرسال" للروائى الصينى ليو ليانغ تشنغ. ورواية "الذواقة" للكاتب لو وين فو.

**● هل هناك مشاريع جديدة تعمل عليها فى هذا السياق؟**

أعمل على كتاب عن الأدب الأفريقى باللغة العربيةٍ، وهو موضوع جدير بالتطرق إليه بحثا ودراسة فى سياق غير تقليدى لطالما حصر الأدب الأفريقى فى نطاق جنوب الصحراء، كما حصره فى اللغتين الإنجليزية والفرنسية غالبًا، ولم يهتم بالأدب الأفريقى المكتوب باللغة العربية، مع أنه موجود وينتظر من يسلط الضوء عليه.

حاوره: عبدالكريم الحجراوي

المشهد
تصدر عن شركة «المشهد» للصحافة والطباعة والنشر «ش.م.م»

مدير التحرير
محمد موسى
الإخراج الصحفى:
هالة سعيد - شيماء جمال

الإدارة والإعلانات والاشتراكات
٤٥ ش عبدالرحيم صبرى. الدقى
ت: ٠١٠١٩٤٤٤٠٠٣ـ ٣٧٧٢٢٠٣٤
فاكس: ٣٧٧٢٢٠٣٤
البريد الإلكترونى
almash_had@yahoo.com
التوزيع والاشتراكات: مؤسسة الأهرام

العدد 351 السنة الرابعة عشرة – الجمعة 1 مايو 2026 م – 14 ذو القعدة



# حجم الخطيئة فى واقعة "الفولي"



بقلم: محمود الحضري

رغم كل محاولات "الطبطبة" التى قامت بها وزارة التعليم، ووكالة الوزارة ووكيلها مع طالبة أولى ثانوى بقرية نزلة المشارقة ببنى سويف، والمحاولات الميؤوس منها لاحتواء الغضب الشعبى مما فعلة وكيل الوزارة، ستظل واقعة السيد الوكيل علامة سيئة فى تاريخ منظومة التعليم، خصوصاً فى جانبها الإنسانى والتربوى والإجتماعي.

ما جرى من السيد محمود الفولى وكيل وزارة التربية والتعليم بمحافظة بنى سويف علامة على سقوط أو إسقاط الجزء المتعلق بالتربية من اسم وزارة التربية والتعليم، وليس هذا تحاملا على المذكور بقدر ما هو إقرار لتفسير حالة ارتكبها بحق طالبة، ستظل عالقة بداخلها، وندعو الله أن تخرج منها بسلام.

لو كانت هذه الواقعة صدرت من مشرف تعليمى صغير فى مدرسة أو مدرس حديث، أو حتى مدير أو ناظر مدرسة كان الأمر سيكون أقل حدة، وربما كان الوكيل ومن تحته مدير التعليم الثانوي، ومدير الإدارة التعليمية التابع لها المدرسة، قد نصبوا "مجزرة" لمن ارتكب تلك الواقعة المشينة، ولكن أن تأتى هذا الفعلة من السيد وكيل الوزارة وهو رقم واحد فى التعليم بالمحافظة، وممثل وزير التربية والتعليم فى بنى سويف، فهذا جُرم تربوى يحتاج لوقفة.

**أننا نشعل النار فى الهشيم، وننفخ فى جمرات تحت الرماد لإشعال نيران أخرى،**

قد يقول البعض أننا نشعل النار فى الهشيم، وننفخ فى جمرات تحت الرماد لإشعال نيران أخرى، إلا أن الواقعة من مدلولها التربوى هى الأخطر، ومن قام بها لم يراع أى أبعاد إنسانية واجتماعية، فى اختيارات فعلته المشينة.

ولابد من التوضيح هنا أن فكرة "اللانش بوكس" بالتعبير الحديث لوجبة الغذاء بصحبة الطلاب، تختلف فى مكوناتها وفقاً للقدرات المادية والأبعاد الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وما لا يعلمه الفولي، أن لجوء الطالبة لهذا ليس فعلاً مشيناً بل هو مؤشر عن أبعاد اجتماعية فى مجتمع يعيش أوضاعا صعبة فى ظل المجريات المحلية والعالمية، إلا إذا كان سعادته يريد أن يضع مواصفات لوجبات التلاميذ والطلبة ونظام تعبئتها وتغليفها قبل اصطحابها من منازلهم!.

وللتذكير فإن الواقعة تتلخص فى قيام طالبة بأول ثانوى من قرية نزلة المشارقة بمركز اهناسيا ببنى سويف بالمرحلة الثانوية بحمل وجبة بسيطة اعتادت إحضارها يوميا من منزلها، عبارة عن رغيفين عيش وكيس فول.

ولاحظ محمود الفولى وكيل وزارة التربية والتعليم بمحافظة بنى سويف خلال جولة تفقدية داخل المدرسة، وجود الطعام داخل درج الطالبة، وطلب منها إخراجه أمام زميلاتها، حيث تم توجيه بعض العبارات التى تسببت فى أذى نفسى وحالة إحراج للطالبة بين زميلاتها وأساتذتها.

قد يقول البعض أن وكيل الوزارة عالج موقفه باستقبال الطالبة المُساء إليها وأسرتها وطالبات المدرسة، وحاول أن يعالج الموقف، إلا أن الأهم هو من سيعالج حجم الإساءة النفسية التى تسبب فيها التصرف الذى ربما يدخل فى اللا أخلاقى للسيد الفولي، والذى سيظل عالقا فى نفسيتها؟.

وما لفت الأنظار هو حجم التفاعل من مختلف الفئات مع الطالبة، والتضامن معها، ورفض واستنكار تصرفات وكيل وزارة التربية والتعليم فى بنى سويف، وهو ما يعنى رفض لأى تصرفات تخل بأخلاقيات هيئات التدريس، والمجتمع المصري.

وبالتالى فإن استقبال السيد الفولى للطالبة وأسرتها وحتى مدرستها، ليس وحده هو الذى يطيب خاطر الطالبة واسرتها، بل الأمر يحتاج إلى اعتذار رسمى فى بيان رسمى من وزارة التربية والتعليم عما جرى بكل تفاصيله، والاعتراف بخطأ تربوي.

وما جرى من السيد الفولى مع طالبة اهناسيا هو إساءة لحالة مصرية عامة، تتبعها كل الأسر المصرية، والتى قد تؤدى إلى تخوفها من ارسال وجبات غذائية منزلية مع بناتهم وأبنائهم، وهم ذاهبون إلى فصولهم الدراسية، والتى قد يتم استخدامها فى الإساءة لأبنائهم وفلذات أكبادهم.. ولتعلم وزارة التربية والتعليم، والسيد الوزير والسيد الوكيل وكل وكيل مماثل أن جبر الخواطر ليس بالطبطبة، بل بالاعتراف بالخطأ والتنويه عنه لعدم تكراره أو تكرار ما يماثله.



إهداء من الفنان محمد عبداللطيف لـ المشهد

# هانى شاكر.. وعمر من الغناء



بقلم: طاهر البهي

لم يكن هانى شاكر مجرد مطرب عابر فى تاريخ الغناء العربي، بل هو أحد أهم أركان الغناء الرومانسى فى مصر والمنطقة العربية. كان وسيظل صاحب مدرسة فى الغناء التطريبى وشريك أجيال من المحبين. كانت أغنياته ملهمة فى الحب والغرام. كان يُعرف جيداً بصلته فى مخاطبة الأجيال الشابة على مر العقود. أكثر من نصف قرن عاشها مخلصاً للونه الغنائى ولا سيما قدرته الفائقة فى مخاطبة بنات حواء الشابات والمراهقات، أخلص خلال رحلته لفنه فلم يمتهن مهنة أخرى ولم يسع لامتلاك مشاريع البيزنس، بل ظل مخلصاً لفن الغناء يملك من الرقى وعزة النفس، مالا يجعله يلهث خلف الموضة التى كان من السهل عليه أن يحذو حذوها ويركب الموجات التى تتابعت عليه ، وهو ثابت متشبث بأركان مدرسته محافظ عليها ومن ورائه جمهور يدعمه يقدر بعشرات الملايين من أرجاء الوطن العربي. عرفت هانى شاكر منذ أربعة عقود. كنا نلتقى ونتكلم ونضحك والضحكة هى أبرز ما يميز أمير الغناء. قلبه الناصع البياض ينير وجهه ويحميه من علامات الزمن.

**أحد أهم أركان الغناء الرومانسى فى مصر والمنطقة العربية.**

لم أجده فى يوم من الأيام يتناول زميلا له بكلمة ولا رأى مسيء. كان يردد عبارة تعد أشهر لازمة له وهي.. ربنا يوفقه ويسعده بجمهوره.. وعندما استدرجه فى حوار عن المنافسة كان يردد عن قناعة ورضا تام بما قسمه الله.. أنا فى حتة ربنا أعطاها لى ربنا يقوينى واحافظ عليها. فى يوم من الأيام شاغبته بقولى إنك أيضاً غازلت المفردات الجديدة عندما صورت اغنية على الضحكاية لمؤلفها الصديق الراحل محمد القصاص وأنت تقود دراجة نارية. ضحك عالياً وأجاب يا عزيزى ما أنا برضه شاب زيهم ولست غريباً عن مفرداتهم. وعندما دخل منطقته فى الرومانسيه التطريبية مطرب وافد قال بنفس ضحكته يا هلا وغلا بالاحباب سننتظر حتى نرى من يستمر، ثم أردف ربنا يسعده بجمهوره والقمة تحتمل الكثيرين. وبالفعل بعد سنوات قليلة قلت له: إنت صح ذهبت الظاهرة وبقى الأصل.

فى منتصف الطريق وضعت يدى على سر من أسرار النجاح فى حياة هانى شاكر، وهو السيدة نهلة زوجته التى كنت اهاتفها قبل أن يأتينى صوت هانى أو على وجه الدقة ضحكته التى لا يتخلى عنها. زوجة هانى شاكر أكبر مساند وناقد له وهى تمتلك حسا فنياً راقياً ولها وجهة نظر فى كثير من الأمور الفنية من حولنا، وعندما طرقت معه هذا الأمر قال أنه صحيح وأنها تقف موقف البطولة فى مسيرته. كان هانى يداعبها وهى المشاهدة الجيدة لمسلسلات التليفزيون بلغات كثيرة وكانت تدعوه ليشاركها المشاهدة، ويوما استجاب لندائها فإذا به يطالع عبر الشاشة رقم الحلقة وكان ٢٦٧ فقال يا خبر هو أنا المفروض أسأل عن ال ٢٦٦ حلقة الماضية قبل المشاهدة، أكون سمعت فيها كل تراث الأستاذ عبد الوهاب. وفى يوم تالٍ لمح بطل المسلسل بيحكى عن خلجاته ومشاعره فيما البيت يحترق وبروح هانى الضاحكة قاله قوم طفى الحريقة ياعم. وهانى بذلك لا يسخر من لغة المشاعر فهو فارسها ولا من الرومانسية فهو صانعها، ولكنه كان حريصاً على عدم الاستخفاف بلغة القلوب ولا بالمشاهد الذى هو أيضا المستمع. كان يرقق كلماته ويشعر بها كشرط أساسى لتصديه لغنائها وهو يعلم أن مصداقيته كانت عظيمة الشأن لدى عشاق فنه، وهو صاحب حالة لا يمكن تجاهلها فى تاريخ الغناء خاصة أغنياته الغزيرة مع رفيق دربه الملحن خالد الأمير.

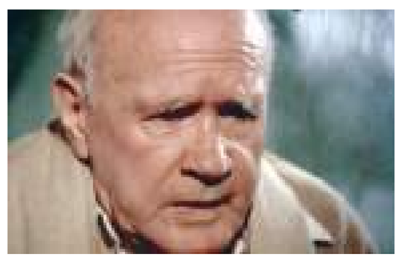
لا شك أن أى منصف دارس لتاريخ الغناء يعرف تمام المعرفة أن هانى شاكر يمثل ركنا هاماً فى الغناء الطربي، إلى جوار ملوك ورواد هذا الفن عبد الحليم حافظ ومحرم فؤاد ومحمد عبده وآخرين. إنه عمر من الغناء سيظل له مريدون وأنصار ما بقيت الرومانسيه وما بقى الحب ولغة القلوب وما بقى فن الغناء.

## انطلاقًا من "صبرا وشاتيلا" ورؤى إدوارد سعيد

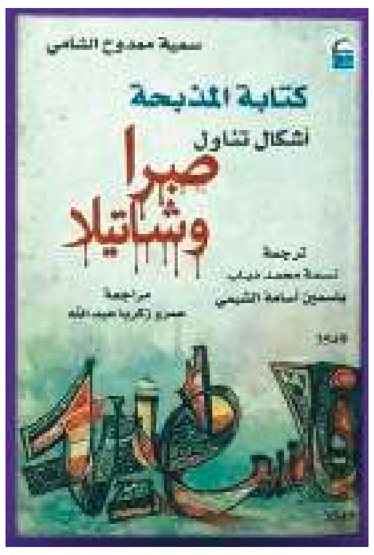
# "كتابة المذبحة" كما عكستها نصوص لكُتّاب من أمريكا وفرنسا ومصر ولبنان

قدم هذا الكتاب دراسة مقارنة لتناول مجزرة صبرا وشاتيلا فى نصوص لستة كُتاب من الولايات المتحدة الأميركية وفرنسا ولبنان ومصر، فيشكل نقطة يلتقى فيها الأدب بالتاريخ، فى سياق محاولة الإجابة على سؤال: كيف نحكى عن المذبحة، على رغم استحالة تمثيلها؟

يقوم متن كتاب "كتابة المذبحة: أشكال تناول صبرا وشاتيلا"، للباحثة المصرية سميّة ممدوح الشامي، على أطروحة ماجستير باللغة الإنجليزية، أشرفت عليها الروائية والناقدة الأكاديمية الراحلة رضوى عاشور، وشاركت فى مناقشتها قبل شهرين من رحيلها فى ٣٠ نوفمبر ٢٠١٤. والكتاب الذى ترجمته إلى العربية نسمة محمد دياب وياسمين أسامة الشيمي، لحساب المركز القومى للترجمة (٢٠٢٥)، يقدم فى جزأين؛ "سيمفونية متناغمة"، تعد بمنزلة "بديل للاستشراق"، على حد تعبير إداورد سعيد.


جان جينيه


رضوى عاشور



كتابة المذبحة غلاف


سمية ممدوح الشامي مؤلفة الكتاب


إدوارد سعيد


إلياس خوري

يستكشف الكتاب أعمال شاعر فرنسى هو جان جينيه، وصحافى أميركي، هو روبرت فيسك، وباحث أميركى هو نعوم تشومسكي، وثلاثة روائيين عرب، هم بهاء طاهر ورضوى عاشور وإلياس خوري، اتصلت فى سياقات متباينة بمجزرة صبرا وشاتيلا التى ارتكبت بين ١٦ و١٨ سبتمبر / أيلول ١٩٨٢، عقب اغتيال القيادى المارونى بشير الجميل. قبل انتهاء العام نفسه كتب جان جينيه مقالاً تحت عنوان "أربع ساعات فى شاتيلا"، وكتب روبرت فيسك مقالاً عنوانه "الإرهابيون"، جرى تضمينه لاحقاً فى كتابه "رثاء الأمة، لبنان فى الحرب" (٢٠٠١)، وكتب نعوم تشومسكى تحت عنوان "فصل من التاريخ الفلسطيني" فى كتابه "الثالوث الخطر والمصير المحتوم" (١٩٨٣). وحضر الحدث نفسه فى روايات "الحب فى المنفى" لبهاء طاهر (١٩٩٥)، و"باب الشمس" لإلياس خورى (١٩٩٨)، و"الطنطورية" لرضوى عاشور (٢٠١٠).

مشاهد من المذبحة

فى مقالته، دمج جان جينيه مشاهد من المذبحة، مع مشاهد من الحياة الفلسطينية فى الأردن، وكلها مبنية على تجربته المباشرة. فجاءت مشاهد الوحشية المروعة موصوفة بلغة حالمة تستجلب مشاعر الألفة والبراءة والحب، بدلاً من الإحساس بالذعر والنفور، بحسب دراسة سمية ممدوح الشامي. وعلى عكس جينيه، استخدم فيسك؛ "لغة تصدم حواس السمع والبصروالشم والتذوق لهوْل ما وقع من فظائع فى غضون الحدث"، إذ انصب تركيزه على تقديم تجربته المباشرة فى المخيمات واستكشاف قضية المسؤولية.

فى عام ١٩٨٣ نشر نعوم تشومسكى كتابه "الثالوث الحطر والمصير المحتوم: الولايات المتحدة، إسرائيل والفلسطينيون"، بهدف دراسة السياسة الأميركية تجاه إسرائيل وتأثيرها على الفلسطينيين والعرب الآخرين. فى الفصل السادس من الكتاب، تحت قسم بعنوان "فصل من التاريخ الفلسطيني"، يتناول تشومسكى مذبحة صبرا وشاتيلا. وقد بنيّ هذا القسم على أسلوب المقابلة، إذ يعمد الكاتب إلى المقابلة بين روايات الصحافة الدولية والروايات الإسرائيلية، كما يقارن مذبحة صبرا وشاتيلا مع مذبحة كيشينيف (أعمال الشغب المعادية لليهود فى مدينة كيشينيف عاصمة مقاطعة بيسارابيا، التابعة للإمبراطورية الروسية عام ١٩٠٣). أما تشومسكي، فزاوَج، بحسب الدراسة نفسها، بين الذاتية والموضوعية، "شأنه شأن جينيه وفيسك". يسبق "فصل من التاريخ الفلسطيني" أقسام تضع المذبحة فى سياقها، تليها أقسام تُعنى بدراسة المسؤولية عن المذبحة.

فى ١٩٩٥ نشر بهاء طاهر روايته "الحب فى المنفى"، وفيها يلقى الضوء على مذبحة صبرا وشاتيلا – التى تشكل الزمن الحاضر فى الرواية – وذلك فى سياق استكشافه لموضوع الآخر، إلى جانب عدد من المذابح الأخرى. وتحقق ذلك بشكل رئيس من خلال استخدام التقنيات الحديثة، لعل أبرزها إدماج أجناس أدبية أخرى ضمن بنية الرواية، كما لاحظت الشامي. وبالمثل، سلّط إلياس خورى الضوء على المذبحة فى "باب الشمس" (١٩٩٨)، فتناولها باسترجاع الأحداث، كما سردها ضمن السياق الأوسع لأحداث عام ١٩٤٨.

من فلسطين إلى لبنان

وفى عام ٢٠١٠، نشرت رضوى عاشور رواية "الطنطورية" التى خصصت فيها عدداً من الفصول للمذبحة وسياقها. تتميز هذه الفصول باستخدام تقنيات سردية مختلفة، وتأتى فى صميم رحلة تستكشف التاريخ الفلسطينى منذ الأربعينيات وحتى تحرير جنوب لبنان (٢٠٠٠) وتحاول تقديم لمحة عن الثقافة الشعبية الفلسطينية. تتوازى هذه الرحلة مع مسار حياة امرأة من قرية الطنطورة، بحيث تحافظ على الرحلتين المتشابكتين فى روايتها فى صورة شهادة مكتوبة، نزولاً عند رغبة ابنها الباحث الأكاديمي.

وبهدف التحليل، تستدعى الدراسة مفهومى "التمثيل"، و"دور المثقف"، كما رآهما إدوارد سعيد. يرى سعيد أن "التمثيل"، هو فعل تنظيمى يشكل الواقع بدلاً من الاكتفاء بنسخه أو محاكاته، وتستند الشامى هنا على ما سبق أن أوضحته الباحثة دعاء إمبابى من أن سعيد يؤكد فى كتابه "بدايات" (١٩٧٦)، أن العلاقة بين النص والواقع يشكلها "العنف"؛ بمعنى أن النصوص لا تكتفى بمحاكاة الواقع، بل هى تخلقه وتعيد تشكيله. ومن هذا المنطلق، تغدو "الكتابة"، مع "التمثيل"، وسيلتين للفعل والتأثير. علاوة على ذلك يرى سعيد أن فهم عملية "التمثيل"، يقتضى دراسة السياق الذى أنتجت فيه هذه العملية. وهذا يعنى – تقول الشامى – أننا بحاجة إلى معرفة الغرض من هذا التمثيل، والقراء المستهدفين، والجهة التى تنتجه. بالإضافة إلى ذلك، لا ينبغى التغاضى عن الوسيط الذى قدم هذا "التمثيل". ومن هنا تركز دراسة الشامى على العوامل المؤثرة على "التمثيل"، وتستكشف كيف يتجلى فى الأعمال التى تمت مناقشتها. إضافة إلى ذلك يعارض سعيد الرأى القائل بأن المثقف بطبيعته يعيش بمنأى عن الانخراط فى مجتمعه، ويرى أن الأدوار التى يضطلع بها المثقف، تندرج ضمن فئتين؛ أولاً بوصفه شخصاً يتصدى للفكر الجمعى المؤسسي، فهو أو هى بمنزلة "دخيل" و"هاو"، من شأنه أن يزعزع الوضع الراهن، حيث يجرؤ على تحدى المسلمات والبدهيات الثقافية والسياسية التى تحول دون رؤيتنا لواقع الآخرين. ثانيا؛ المثقف بوصفه شخصاً يستعيد السردية المفقودة: وفقاً لسعيد، "الحقائق لا تتحدث عن نفسها، ولكنها تتطلب سرداً مقبولاً على المستوى الاجتماعى لاستيعابها والحفاظ عليها وتعميمها"، وهنا "يأتى الدور الرئيس الذى يؤديه المثقف حيث يملك موهبة تمكنه من تمثيل الآراء ووجهات النظر للعامة".

بدائل الاستشراق

مقدمة الدراسة، تستهلها الباحثة بمقولة إدوارد سعيد فى كتابه "الاستشراق": "لعل المهمة الأكثر أهمية على الإطلاق هى إجراء دراسات فى البدائل المعاصرة للاستشراق". وفى هذه المقدمة تؤكد الشامي، انطلاقها فى هذه الدراسة من إيمانها بأهمية الاحتفاء بالكتابات التى تطرح تمثيلا منصفاً عن "الآخر"، بعد معاناة طويلة من جراء أعمال "استشراقية"؛ أكاديمية وغير أكاديمية، كشفت العديد من "التمثيلات المضللة". الجزء الأول من الدراسة عنوانه "كُتبَ من المنفى"، وتضمّن فى ثناياه العناوين التالية: "دور المثقف، السياقات الثقافية والسياسية، مساءلة المسلّمات الفكرية، المثقفون والسرديات، وسرد القصة". وجاء عنوان الجزء الثانى على شكل سؤال: "أيَحق للتابع أن يتكلم؟"، وتضمّن "مساءلة المسلّمات الموروثة، فلسطين بأصوات عربية، وتحليل بنية السرد". وجاء فى الخلاصة التى تضمنتها "الخاتمة"، أن دراسة أشكال تناول الكتّاب الستة لمذبحة صبرا وشاتيلا، تكشف اتساع أفق التعبير فى تناول حدث واحد، "إذ يتباين هذا التناول تبعاً لاختلاف زمن الكتابة وقالبها، وطبيعة الجمهور المتلقي، وخلفية المؤلفين، وموقع المذبحة من النسيج العام للنص" ص ١١٧. ومن هنا لاحظت الشامى أن مسألة تحميل إسرائيل مسؤولية المذبحة "تعد أمراً محسوماً" فى السردية العربية، "نظراً لوعى القارئ العربى بتاريخ القضية الفلسطينية وانحيازه الفطرى للشعب الفلسطيني، ومن ثم الانتصار لسرديته". لكن فى الروايتين، العربية والغربية، بحسب النصوص التى تناولتها دراسة الشامي، تحوّلت صبرا وشاتيلا، إلى رمز زمانى ومكانى لتاريخ طويل من المذابح والاضطهاد الذى تعرّض له الشعب الفلسطيني. غير أن الأعمال الغربية تضيف بعداً مختلفاً لهذا التوازي، إذ لا تقتصر المقارنات على الداخل الفلسطيني، بل تمتد لتقارن بين ما جرى فى صبرا وشاتيلا والمذابح التى ارتكبت بجق اليهود فى أوروبا. وفى النهاية، تثبت الشامى استعصاء تلك المذبحة على "التمثيل"، "إذ تتهاوى المخيلة أمام فداحتها، ولا تترك لمن يرغب فى تصوير أحداثها سبيلاً سوى اللجوء إلى أسلوب أقرب إلى كتابة المذكرات، بالتركيز على التفاصيل التاريخية، أو استدعاء ما سرده شهود العيان. ورأت الشامى أن الكتاب الذين درست نصوصهم المتعلقة بهذا الحدث، كانوا يدركون هذه الحقيقة، فكل من جان جينيه وروبرت فيسك ورضوى عاشور، يشيرون صراحة إلى صعوبة تمثيل المذبحة، بينما يجعل إلياس خورى من استحالة تمثيلها محوراً رئيساً فى سرديته، لكن يبقى أن النصوص الستة "تناغمت كلها فى حضرة المذبحة، كما الأوتار المختلفة فى معزوفة جزينة واحدة" ص ١٢٠.


روبرت فيسك


بهاء طاهر


نعوم تشومسكي

على عطا